

مَقَوِّمَاتُ
الشَّخْصِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ
فِي الْإِسْلَامِ



مَقَوِّمَات

الشَّخْصِيَّةِ الْحَسَنِيَّةِ

فِي الْإِسْلَامِ

العميد الركن القاعد

محمد سعيد عيسى

دار المصنوعي

الطبعة الأولى

2007 - 1427

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

إن الحياة على هذه الأرض جعلها الله - بالنسبة للإنسان - قائمة على أصليين :

أ - العلم لأنه الموصل إلى الله ، وبه يُعرف وبه يُطبق شرعُه . وبه تسير المَدَنِيَّة في معارج الكمال ؛ فلقد أكرم ربنا البشرية ببدء آدم عليه السلام بنفحات العلم ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة : ٣١] وميَّز آياته الكونية والتكوينية - وحتى القرآنية - بقوله : ﴿ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ورسم طريق الأنبياء والمصلحين الداعين إلى الهدى بقوله ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي اَدْعُوْا اِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنْ اَتَّبَعَنِيْ وَسَبِّحْنَ اللّٰهَ وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] وقوله للمتشككين ﴿ قُلْ اَنْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تُنْفِى الْاٰيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴾ [يونس : ١٠١] وجعل دعوة الأنبياء ذات هدف ﴿ كَتَبْنَا اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَى صِرٰطٍ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ ﴾ [ابراهيم : ١] ومن اقتفى أثر الأنبياء لا بد أن تعترضه من الصعوبات ما لاقته دعوة الأنبياء من العدو ، بسبب الجهل الذي يحمله المتعصبون فلا مجالَ لحوارٍ أو تفاهم ، ولكن صدَّ ويطش وإيذاء لا لسبب إلا كونهم جاهلين متعصبين لا يقبلون النواميس العلمية ﴿ لِنُخْرِجَكَ بِشَعِيْبٍ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرِيْبًا اَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] ﴿ وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِيُثْبِتُوْكَ اَوْ يَقْتُلُوْكَ اَوْ يُخْرِجُوْكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ﴿ اَخْرِجُوْا آلَ لُوْطٍ مِنْ قَرِيْبِكُمْ اِنَّهُمْ اَنَاسٌ يَنْطَهُرُوْنَ ﴾ [النمل : ٥٦] .

ب - الحرية: وكذلك فالإنسان مفطور على الحرية، وقد أكرمه ربنا منذ الأزل بحرية الاختيار ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وذكر نبيّه بذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] .

إن هذه الحرية في الاختيار والتي تدعى اليوم «بالديمقراطية» هي ما تلهث الشعوب وراءها، وشتان بين ديمقراطية مبرمجة يفصلها المتحكمون لتتناسب أهل الجهل والتعصب . وحرية اختيار يختار فيها المرء ما يشاء من اعتقاد وتصرف بشؤونه المصيرية .

وعليه فالمؤمن مطالب بتحقيق هذين المطلبين في حياته، وعليه أن يجاهد لإقرارهما وتثبيتهما كأصل للتعامل، ومن تعصب لشهوته فأعمته عن رؤية الحق وسماعه وعبد من يتألهون عليه، نجده يحارب للصدّ عن الحق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٦] وما أقره الله للبشرية . . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] . . مرددين (لا للعقل . . لا للفكر . . لا للمنطق) حتى لا يعم الخير، ولكن ليطغى الناس بعضهم على بعض وتهدر كرامة الإنسان .

فمن ذاق حلاوة الإيمان وسطع في قلبه نور الحق، لا يهنؤ له بال إلا بإيصال الحق لأهله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالإنسان ينقلب بالعلم والإيمان من أنانيّ همّة شهواته، إلى إنسان غيريّ همّة الآخرون، وهكذا « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، وتتحقق إنسانية الإنسان بتحقيق الهدف الذي وُجد لأجله على الأرض .

(١) رواه البخاري ومسلم في مختارات الأحاديث النبوية ص ١١٩ .

« والخَلْقُ كلهم عيال الله وأحبُّهم إلى الله أنفعهم لعياله »^(١) .
هذه هي دعوة الإنسان لأخيه الإنسان ، نبيلة سامية ، لا تَحْمِلُ حَقْدًا ولا
ضغينة ، ولكن رحمة ومجبة ، ولذا لا بد لهذه الأهداف النبيلة أن تتحقق
بسواعد قوية نظيفة طاهرة ونفوس مطمئنة .

* * *

(١) مشكاة المصابيح حديث رقم : ٤٩٩٨ .

الفصل الأول

الجهاد الحرابي دوافعه والباعث إليه

أولاً - تعريف الجهاد الحرابي وحكمه :

- جاء في تعريف الجهاد الحرابي : بذل الجهد في قتال الكفار^(١) ، وما يمت إلى القتال بصلة من دعوة إليه ومساعدة وذلك بعد توافر الشروط المطلوبة لمشروعيته بعد وضعهم في خيارات ثلاث :

أ - الإسلام . ب - الدخول بالذمة . ج - الحرب .

أو الدّعوة إلى دين الله الحق و قتال من لم يقبله^(٢) .

- حكم الجهاد : جنس الجهاد فرض عين على كل مسلم عاقل بالغ باليد والمال أو بالقلب واللسان .

- حكم الجهاد الحرابي : فرض عين على من يقوى عليه إذا كان النفير عاماً أو مع رسول الله ﷺ لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقي^(٣) .

وهو فرض كفاية عند عامة المذاهب وجمهور علماء المسلمين .

(١) فتح الباري ٣/٦ .

(٢) حاشية ابن عابدين : ١٢١/٤ .

(٣) ابن قدامة الحنبلي ٥٥/١ .

وهو في الوقت الحاضر فرض عين لأن بعض طوائف المسلمين الذين يقومون بالجهاد لإخراج الغاصب من بلادهم ورفع راية الإسلام غير كافٍ^(١).

كما أوجب فقهاء المسلمين تخليص المرأة المسلمة إذا سباهها أعداء الله ، ولو أدخلوها دار الحرب إذا كانوا قادرين على ذلك .
غايته : إقامة المجتمع الإسلامي وحماية المسلمين من العدوان .

ثانياً - العقيدة القتالية عند المسلمين :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٧٦] الإسلام دين الله لجميع خلقه ، أنزله على أمة كلفها بحمله إلى العالم أجمع ، وباستمرار تبليغه حتى نهاية الزمان « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله »^(٢) و« الخيلُ معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة »^(٣) . ويقول عليه الصلاة والسلام : « والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال »^(٤) ، وكل قتال لا يكون ضد الكفار لا يكون في الاصطلاح الشرعي من الجهاد على الأرجح وإن كان مبرراً مثل :

- نصره دين الله وإبلاغ الدعوة
- مقاتلة أهل الردة
- قتال أهل البغي .
- قتال الحرابة أو قُطَاعِ الطرق . .
- القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة - القتال ضد انحراف الحاكم .

(١) كما في البوسنة والهرسك - الشيشان - نوغورنو كرباخ - كشمير - فلسطين - أفخاديا - مورو . . . إلخ .

(٢) البخاري ٢٨٥٢ . وفي صحيح مسلم باب الجهاد ص ٢٩٠ رقم الحديث ١٠٩٦ .

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم باب الجهاد ص ٢٩٢ رقم الحديث ١١٠٥ .

(٤) المبسوط ١٠/٢ .

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

- المجاهد قلبه طاهر سليم ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤] .

- إن الجهاد في سبيل الله أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية
الحاج ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٩] .

- المجاهد فائز دوماً بإحدى الحسينين : ﴿ هَلْ تَرَىٰ صَوْتَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى
الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ [التوبة : ٥٢] .

- المجاهد له الحياة الغالية بعد استشهاده : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

- المجاهد يلتقي بالملا الأعلى على أرض المعركة وقد ساقه الله
لنصرته ..

﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَتْلِي . . ﴾ [الأنفال :

١١٢] .

- المجاهد شاهد لله بالوحدانية بدمه وقوله وفعله .

- درجات المجاهد في الأجر بعد الأنبياء والصدّيقين ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

- يحب المجاهد الشهيد أن يعود إلى الدنيا فيقتل ، ثم يجاهد فيقتل ،
لما يرى من الأجر والثواب الذي سيناله : « ما من أحد يدخل الجنة يحب
أن يعود إلى الدنيا وإن له ما على الأرض إلا الشهيد »^(١) .

- الكُلم كُلم دم ، والريح ريح مسك « ما من كُلم يُكَلِّم في سبيل الله إلا

(١) صحيح مسلم : ١٠٧٩ ص ٢٨٦ كتاب الجهاد - باب فضل الشهادة في سبيل الله
تعالى .

جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم : لونه لون دم وريحه ريح مسك» (١)

- في الشهادة تتجلى حقيقة الزهد بالدنيا وحقيقة الدعوة إلى الله .

- المجاهد يختص بخصال :

- يُكْفَر عن خطاياها - يرى مقعده بالجنة

- يُرَوِّج بالحدود العيون - يؤمّن من الفرع الأكبر

- يؤمّن من عذاب القبر - يُحَلِّي بحلية الإيمان

- تظله الملائكة بأجنحتها

- ولهذه الأهداف يقاتل المسلمون ، ولهذا الأجر يسعون ﴿لِيُقَاتِلَ هَذَا

فَلِيَقْتَلَ الْمُكْفِرِينَ﴾ [الصفاء : ٦١] .

أما أعداء الله فلهم أهداف أخرى، ولذا يسلكون لها طرقاً ملتوية وأساليب شتى . وعليه فدور الجندي والقائد وكذلك وسير المعركة ومآل الحرب من نصر أو هزيمة وغنائم أو أسرى مختلف أيضاً بين الطرفين .

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[النساء : ١٠٤] .

رابعاً - العقيدة القتالية عند أعداء الله :

إن الفضايح التي تتكشف يوماً عن أعمال الحكام في دول ما يسمى (العالم الحر) بعد سقوط الشيوعية هو السبب فيما تعانيه شعوب العالم سواء ما يسمى (دول الشمال) أو (العالم المتحضر) أو ما تعانيه (دول الجنوب) أي العالم الثالث .

فالأولى تعاني من فقد الطمأنينة والسعادة والاستقرار الاجتماعي

(١) مختصر صحيح البخاري رقم الحديث ١١٥٥ كتاب الجهاد - باب الحور العين وصفتهم .

والخواء الروحي ، والأمراض المستعصية - والنفسية خاصة .

أما ما تعانيه المجموعة الثانية من فقر وجهل ومرَض ، وتسلط حكام تابعين للغرب ، فكل ذلك يمنع تحرر هذه الشعوب من التبعية ويحول دون فك قيودها .

... فَمَنْ المستفيد من هذا الوضع القائم... ؟ أهى شعوب العالم بشقيها؟ أم دول الشمال فقط؟ أم دول الجنوب؟ .. أم المسلمون المستهدفون؟ .. أم دَهاقنةُ السياسة أعداءُ الشعوب والإنسانية؟ ..
إن مناطق العالم كلها حيوية - لتأمين استمرار نهب خيرات الأمم (مصادر الطاقة والمواد الأولية) - وسلامة وأمان طرق المواصلات العالمية - واستمرار وزيادة أسواق الاستهلاك .

إن تخدير الشعوب بالملهيات وغمسها في حمأة الرذيلة (الجنس والمخدرات) وتحويلها لتعمل بالتفاهات (السياحة .. النشاطات الحزبية .. أو تشجيع أنشطة ومباريات رياضية ، ومسابقات عروض أزياء ، أو انتخاب مَلِكات جمال .. إلخ) هو من الوسائل المعدة للسيطرة على الشعوب كل الشعوب ، حتى إن الخروج عن هذه القواعد المرسومة .. مآله .. لا يعلمه إلا الله .. المهم أن لا تستفيق الشعوب من رقادها فتمارس حقوقها وحريتها ومسؤوليتها وإنما اليقظة فقط لمن لهم رسم سياستها وفرض أفكارهم وخططهم على الجميع ، ومثال ذلك ما يسمى اليوم (النظام العالمي الحديث) الذي تتربع فيه دولة عظمى على كرسي التسلُّط في مقدَّرات العالم يحكمها أصحاب التروستات والكارتلات الصهائية^(١)

إن عنصر الاستفزاز ضروري دوماً لإيجاد حُجج واهية لممارسة ضغوط من قوى البغي لتبرير عدوانها المستمر على الأمة الإسلامية ، هذه الأمة التي

(١) مصطلحات لما يعرف بالتوشع الرأسمالي شاقولياً أو أفقياً .

تحمل هموم الشعوب والمكلفة بإخراج الناس من كابوس العبودية لغير الله ،
ليعم العدل والسلام العالم .

فسياسة (التسخين) التي يمارسها الغرب المتسلط لضرب الشعوب بعضها ببعض ، عن طريق عملائه ، وبكيل الضربات المتلاحقة ، وعن طريق تقديم آلة الحرب التي يحتكرها ، لفريق تارة ولفريق آخر تارة أخرى بحسب ضعفه ، وقبوله شروطه من حيث الإشراف والمراقبة على استخدامها ، وعن طريق التدخل المستمر بشؤون البلد ، فيزيد بهذه السياسة من أوار الحرب وسعيها (حرب إيران والعراق خير مثال على هذا ، حيث أعلنت أمريكا أنها لا تسمح لفريق أن يكون غالباً أو مغلوباً^(١) فدام الصراع الذي لا مبرر له سنوات استفدت طاقة الأمة الإسلامية . .) كما أن التمرد على السياسة المرسومة للبلد يسحق (بسياسة المطرقة) : (كثرة الضربات في المكان المؤلم) ، مع إيقاع أكبر خسارة ، ويعدم استنزاف أية طاقة ، وخاصة القوى البشرية ، لأن الخسائر المادية ستكون الدولة مجبرة على تعويضها أضعاف مضاعفة حسب شروط الغالب على المغلوب ، كما حصل في ضرب العراق باسم ما يسمى (دُول التحالف) ، كل ذلك ليفقد البلد طاقاته كاملة ، وتبدد ثروته ، ويعود إلى الوراء عشرات السنين .

كل هذا بتخطيط عالمي لقوى الشر ، بعيد المدى لمنع انهيار النظام العالمي الذي تتبناه الحضارة الغربية ، وهي تستخدم لذلك كل ما وصل إليه العلم من وسائل التَّجسُّس والأسلحة المدمرة ، دون أن تخضع لشيء من وازع خلقي أو ديني .

وعلى هذا فاستراتيجية الغرب المتسلط قائمة على :

(١) تصريحات المسؤولين في السياسة الأمريكية (الرئيس بوش ووزير خارجيته بيكر) بالاذاعة والصحف .

- المحافظة على مصادر الطاقة والمواد الأولية اللازمة للصناعة لتتحكم بها .

- المحافظة على سلامة وأمن طرق المواصلات اللازمة لنقل الموارد والطاقة والمواد المصنعة .

- استخدام الحروب المحلية بين الشعوب لتطوير صناعاتها . وبتزايده البحث العلمي ولاستمرار جعلها أسواقاً لمنتجاتها .

- استخدام أبحاث الفضاء للتجسس والكشف المبكر عن الثورات التحررية ولضربها بالمهد . بمعاونة القوى العميلة التي تغطي لها مصاريف تدخّلها .

- منع البطالة بين عمالها ، ووقف نزيف التضخم الذي تعاني منه شعوبها ، حتى لا تتعرض مصالحها للاضطرابات .

- الحرب ضد ما يسمى (بالإرهاب)^(١) لضرب الحركات التحررية ، هذا الذي طورت مفهومه ليشمل كل عمل تحرري يقوم به أبناء الأمم المستضعفة لطردهم من بلادهم ، أو رد الباطل ، أو تحرير بلادهم من التبعية .



(١) الإرهاب: اتخذ اليوم مفهوماً يعني الإجرام ولكنه أصلاً مطلوب لمنع استتالة شرر العدوان ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ تُرِيبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الفصل الثاني

العسكرية والشخصية العسكرية

أولاً - الشخصية .

ثانياً - الشخصية العسكرية .

ثالثاً - الشخصية العسكرية الإسلامية .

رابعاً - مقومات الشخصية العسكرية الإسلامية .

أولاً - الشخصية :

بما أن لكل إنسان مَلَكات (صفات) تختلف عن ما عند غيره ، لذا فإن سلوكه في المواقف المتأزمة يكون خاصاً به لا يشاركه فيه غيره ، فبينما أحدهم قويٌّ في مجال ، نرى غيره يسقط أو ينهار فيه . وبينما أحدهم هادئ وشاعري في حال يكون غيره عنيف عدواني ، في مثل هذا الموقف فالشخصيةُ مُلكٌ صاحبها ، وتختلف من إنسان لآخر ، وتحمل في طياتها العديد من الأبعاد النفسية والمشاعر ، ففيها الهدوء والغضب والاستقرار ، وفيها عدم الاتزان وعدم التلاؤم مع الأحداث ، أو انعدام القدرة على التلاؤم إلى درجة المرض والأزمة .

تعريف : وعليه فيمكن أن نعرف الشخصية بأنها مجموعة الاستعدادات الفطرية والصفات الجسمية والقدرات العقلية ، وما ينتج عن هذه المجموعة

من سلوك وطبائع وتصرفات لفرد معين ، يعيش في واقع معين ، ويتفاعل مع هذا الواقع ، ضمن الصفات الخاصة به .

- كما تُعرّف الشخصية بأنها بناء قابل للتطور والتكامل والتكيف ويتوقف هذا على إرادة الإنسان ووعيه وثقافته ومسؤولياته الحياتية^(١) . وقد قيل (الأسلوب هو الرجل) .

وتتكامل الشخصية حيث تتأزر مقوماتها في سلوكها نحو الأحسن ، وقد تتعرض للاضطرابات والمشكلة والمرَض ، والواقع العملي يثبت أنها مجموعة من المراحل النفسية والخلقية ، تسير مع الكائن منذ ولادته ، وتصاحبه في جميع مراحل حياته ، وتتعرض للشذب والصقل خلال الزمن لتأخذ شكلها النهائي المتميز ، ولتنال هويتها الخاصة المنفردة بما يمر بالإنسان من تجارب تزيد من تطور شخصيته وتكاملها ، إن كانت مدروسة جيداً ، أو تهمشها إذا كانت رخيصة بالية - والإنسان بعد مرحلة المراهقة يقف أمام نفسه مسؤولاً وحيداً وملتزمًا لمواقف حياتية معينة ، وهذا ما عبر عنه بمرحلة التكليف شرعاً فهو مسؤول عن تزكية نفسه ﴿ وَتَقِيں وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴾ فَالْهَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَانَهَا ﴿ ٨ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ﴿ ٩ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ﴾ [الشمس : ٧-١٠] .

وهو مسؤول عن تكامل شخصيته وعن أخطائه وتصرفاته الطائشة وعن كل خطوة يخطوها ، ومن تكاملت شخصيته كان له سلوك حسن وناجح . ومن سلك طريق الإيمان سمّت مشاعره ، وصارت متوافقة مع دوافعه إلى تطبيق الشرع فكان في صحة نفسية . وعلى العكس عندما يكون الصراع بين الدوافع والرغبات وخاصة المتنامية مع الفطرة والمجتمع السليم يقع الإنسان في أمراض نفسية تُضعف شخصيته أو تقوضها ، وهذا ظاهر بوضوح في المجتمع الغربي المتفلّت من الضوابط ، حيث الأمراض التي لا تُحصى (عُصاب قهري - قلق مرضي - تردد - عدم ثقة - قلة نوم - توقع الشر

(١) مدخل علم النفس ٦٥ .

والأذى - الكآبة - عدم التركيز . . إلخ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] أما الإيمان فهو اطمئنان ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ثانياً - الشخصية العسكرية :

- تعريف : إنها مجموعة الاستعدادات الموروثة ، والصفات الجسمية الخاصة ، والقدرات العقلية المعيّنة ، والتي تبلورت كلها في نمط عسكري متكامل وناضج^(١) .

- مقومات الشخصية العسكرية هي :

أ - مجموعة الاستعدادات الأولية وما ينتج عنها من صفات نفسية .

ب - مجموعة الصفات الجسمية .

ج - مجموعة القدرات العقلية ومستوى الذكاء العام .

د - الصفات النفسية العسكرية التي تولدت من الخبرة المباشرة بالعمل العسكري وهذه تشمل :

١- قوة الشخصية وتأثيرها بالآخرين .

٢- الإقدام والجرأة .

٣- المحاكمة العقلية في المواقف العسكرية المتأزمة .

٤- أهلية القيادة .

٥- ضبط النفس .

٦- الوجدان والشرف العسكري .

(١) مدخل علم النفس ٧٢ .

٧- التربية العسكرية النموذجية المتكاملة^(١) .

وعليه فإن الشخصية العسكرية هي في تكامل الصفات المذكورة وتآزرها بشكل يؤدي إلى سلوك عسكري ناجح ، وإلى توافق وتلاؤم جدي إيجابي يكون قدوة للآخرين .

- والشخصية العسكرية الإسلامية مبنية على تطابق كامل بين الاستعدادات الموروثة من عقيدة الإسلام وقيمه ، وبين الصفات الجسمية التي نَمَى قدراتها الإسلام . وكذلك بين القدرات العقلية التي وَعَتْ عن حقائق الوجود بشكل يطابق الفطرة ويريحها ، وينسجم مع الهدف الذي خلقت هذه القدرات لأجله ، فظهرت في عمل عسكري كقدوة للجميع ، ومثلاً يحتذى في كل عمل جهادي حرايبي على مَرَّ الزمن من حيث الأداء ، لأنها تمثل التضحية مع العفاف ، والفداء مع الإخلاص ، والقوة مع الإيثار .

فالعظيم بالإسلام عظيم في كل شؤونه ليس له ناحية مشرقة وأخرى قاتمة دنيئة . ولذا لم يعرف التاريخ عظماء في كل نواحي الحياة كعظماء المسلمين . (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه)^(٢) .

* * *

(١) الذكاء والقيم المعنوية ١٢٧ .

(٢) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام ج٢/١٨٢ .

الفصل الثالث

المؤهلات والتدريب

ويبحث:

- المؤهلات الواجب توافرها في المجاهد المسلم .

١- المؤهلات الموروثة .

٢- التأهيل (الإعداد) الجسمي .

٣- التأهيل الاجتماعي .

٤- التأهيل الحُلقي (عقيدة) .

٥- التأهيل النفسي والفكري .

٦- التأهيل القيادي والإدارة .

٧- التأهيل القتالي ضمن المثل العليا .

أولاً - المؤهلات الموروثة :

المؤهلات الجسمية (البدنية) .

لقد كان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يختار المجاهدين من ذوي البنية القوية ، وقصة الصغار (رافع وسمرة) خير مثال على ذلك ، حيث لم يقبل أحدهما لصغره ، ولكن عندما صرع زميله الذي كان قد أذن له

الرسول الكريم بالخروج معه للجهاد من قبل عاد فسمح للإثنين معاً .
والجندي في جيش الإسلام عليه أن يكون قوي الجسم قادر على التغلب
على أقرانه ، وقصة ركانة الرجل الذي جاء إلى الرسول الكريم وسأله أن
ينزله ليُسَلِّم ، لأنه كان يعتز ببطولته وأنه لا أحد يصمد أمامه ، فلما صَرَعهُ
رسول الله ﷺ أسلم مثال آخر . والرسول الكريم يقول « المؤمن القوي خير
وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »^(١) . فالجهاد الذي
يحتاج إلى لياقة عالية ، لا يمكن أن يضم إلا شباب مندفعين حمر البشرية
مفتولي السواعد . وكذلك فإن القدرة على تحمل التعب والجوع والعطش
وقسوة الأنواء الجوية ، إذا أضيفت إلى (القوة الجسمية والإرادة الصلبة) ،
جعلت المجاهد قوياً ومرناً كالنابض، كذلك فلا بد من أن يتمتع المجاهد
بخفة الحركة ، بحيث يكون قادراً على الاشتباك والتملُّص بسرعة ، وكل
هذه الصفات تزداد أهميةً مع استخدام السلاح ومعدات القتال ، وهذه
القدرات تزداد فعاليتها بالتدريب والممارسات الرياضية الهادفة الفردية
والجماعية ، (كالمصارعة والملاكمة والجيدو وألعاب القوى والحوارجز ،
وخاصة إذا كانت بلباس القتال ومع السلاح) .

- إن القدرات البدنية التي يحملها المقاتل الفرد تزداد قيمتها بشكل كبير
عند الصراع إذا كانت مع السلاح ، وتتضاعف بعدد رفاقه المنتظمين معه
حيث التعاون والانسجام لقد أمر الرسول الكريم قواته في عمرة القضاء
بالإضطباع والرَّمْل لإظهار القوة، لأهل مكة الذين أشاعوا أن حمى يثرب قد
أوهنت المسلمين^(٢) .

(١) رياض الصالحين رقم الحديث ١٠٠ رواه مسلم في باب المجاهدة .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٤٢٤ .

ثانياً - مؤهلات اجتماعية :

إن المجاهد الذي نشأ من منبتٍ طيب ومختدٍ نبيل يكون مشبعاً بالقيم الأخلاقية التي مصدرها الإيمان ، كما أن عمق جذوره بأصله وقومه « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا »^(١) يجعله أهلاً لحمل رسالة السماء إلى أهل الأرض . كما يُشترط فيه أن يكون عارفاً بأنسب العرب والقبائل وأيامها ، عارف بمواقعها وعاداتها ، وبأحوال الشعوب ومعاناتها « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم منسأ في الأثر ، مثرأة في المال »^(٢).

إن العلم بالأنساب يفيد في صلة الأرحام « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد »^(٣) إذا سئل أحدكم عن أصله قال من قرية كذا . . وكذا »^(٤) .

كذلك فإن المعرفة بطبائع القبائل وما تمتاز به ضرورية ، حتى ينادى بها بالمعركة ، ففي معركة (اليمامة) أدرك خالد بن الوليد أن تشكيل الكتائب المختلطة من أهل القرى والبوادي خطأ بعد أن خسر المسلمون ضحايا كثيرة . فأعاد تجميع الجيش على أساس قبائل المقاتلين ويطونهم ، وقال قولته للقبائل « امتازوا » ، وبهذا جمع شرف القبيلة مع سُمُو الدعوة في عمل واحد .

كذلك فالمجاهد يتصف بالتعاون مع الجميع وينسجم مع من حوله « المؤمن يألف ويؤلف »^(٥) . يُشيعُ من حوله الحب والاحترام .

-
- (١) مختصر صحيح مسلم ص ٤٦٥ رقم الحديث ١٧٤٤ باب تجدون الناس معادن .
 - (٢) سيرة عمر بن الخطاب ، للشيخ محمد علي الطنطاوي وأخيه محمد ص ٥٨٢ .
 - (٣) النبط والنبيط : جبل معروف كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين . النهاية لابن الأثير ج ٥ / ص ٩ والأنباط الذين نزلوا سواد العراق ، [اللسان= نبط] .
 - (٤) سنن الترمذي ١٧٩٧ ج ٤ / ٣٥١ .
 - (٥) أبو نعيم في الحلية ضعيف .

هو محبوب من أقرانه ومحبوب من رؤسائه ، ومحترم من مرؤوسيه
يقول أمير المؤمنين عمر : أريد أميراً إذا كان مع قومه فهو أميرهم ، وإذا
كان أميرهم فهو واحد منهم^(١) .

ثالثاً - صفات خلقية :

إن الله لم يمدح خيرة خلقه إلا بالخلق فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
[القلم : ٤] والخلق الحسن من أهم صفات المجاهد الشخصية لأنه سيكون
مثلاً لأقرانه ، ومثلاً لأعدائه الذين سيدعوهم إلى الإسلام ومثلاً في معاملة
أعدائه كأسرى وغيرهم . . هذه الأخلاق ذات الأصل في المنبت قد صقلها
الإسلام . منها الكرم والجود (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) وكيف
يجود بنفسه من لا يعرف الجود ، ومنها السماحة وهي في القلب الذي لا
يَحْمِلُ غِلاً لأحد - حتى ولا لأعدائه - وهي ممثلة بقول الرسول عليه الصلاة
والسلام عندما فتح مكة ، وكان أهلها قد أخرجوه وظاهروا على إخراجهم . .
« إذهبوا فأنتم الطلقاء »^(٢) . والسماحة خلق الأفاضل لأن المتسامح لا
يشعر أن غيره دونه ، بل هو مشترك مع غيره في المنافسة بالعمل
المخلص ، بدلاً من التحاسد « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا . .
وكونوا عباد الله إخواناً »^(٣) .

وللمجاهد شخصية تعادل فكره ، فالإرادة بلا ذكاء شيء خطير ،
والذكاء دون إرادة أمر لا قيمة له .

- والمجاهد قويُّ الملاحظة [حيث لا يمكن الوصول إلى شيء وتنفيذه

(١) سيرة عمر بن الخطاب ٤٩٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤١٢/٢ .

(٣) مختصر صحيح مسلم ١٧٧٥-١٨٠٠ . كتاب البر والصلة باب المسلم أخو المسلم لا
يظلمه ولا يخذله ص ٤٧٧ .

إلا بعد نقد وتحليل [فمجموعة القوى العقلية للإنسان هي المحرك للقتال ،
وعنها تنبثق إرادة القتال ، وأساليبه ، وشكله ، وتنظيمه ، وسرعة البديهة
تعني أن المجاهد يجد لكل موقف حلاً ، ولكل مسألة أو معضلة مخرجاً
مناسباً ، ففي معركة مؤتة^(١) عَيَّن رسول الله ﷺ ثلاثة قادة ، إذا استشهد
الأول حمل الراية الآخر ، وإذا استشهد حملها الثالث ، فحمل الراية زيد
ابن حارثة ، فقاتل حتى قُتِل ثم حمل الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل
حتى قُتِل ثم حمل الراية عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قُتِل . . . ثم حمل
الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح له^(٢) . كذلك في معركة
(كاظمة)^(٣) في فتح العراق ، كان هُرْمُزُ قد خطط للغدر بخالد بن الوليد
أثناء المبارزة معه ، حيث أشار لخالد بأن ينزل عن فرسه ، ونزل هو وقد
كلف عدد من رجاله الغدر بخالد وقتلَه عندما يُمسك هو به ، ولكن القعقاع
ابن عمرو فطن للعملية ، واندفع فور رؤيته للمجموعة المتحركة باتجاه
خالد ، وانقضَّ عليها وقتلهم جميعاً^(٤) .

إن البديهة تعني أن الإنسان قادرٌ أن ينقل خصمه من طالب إلى مطلوب
ومن سائل إلى مسؤول ومن متهم إلى متهم (يرد الكرة بسرعة لملمع
الخصم) ، سئل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فأجاب مباشرة : « ماذا أعددت

(١) مؤتة كانت قرية بالبلقاء شمال معان (في الأردن) وقد شيدت الحكومة الأردنية مسجداً
في مكان المعركة .

(٢) بعد استشهاد ابن رواحة ، أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله عنه ، وقال : يا معشر
المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، فقال : ما أنا بفاعل ، ودفع
بالراية إلى خالد بن الوليد وقال : أنت أعلم بالقتال مني . فقال له خالد : أنت أحق به
مني لأنك ممن شهد بدرأ ، فنأدى ثابت : يا معشر المسلمين ، فاجتمع الناس على
خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وسلموه الراية فأخذها . الواقدي ، المغازي ص ٣٢٠ .

(٣) كاظمة : مدينة كانت تقع على الساحل الشمالي لخليج الكويت .

(٤) الطبري ج ٢ / ص ٥٥٥ .

لها»^(١) ؟ . وسأله الصحابي زيد الخير يا رسول الله ما علامة الله فيمن يحب وفيمن لا يحب .. ؟ فأجابه : « كيف أصبحت يا زيد .. ؟ قال : أصبحت أحب الخير وأهله^(٢) .

وهكذا تحول السائل إلى مسؤول ، والمسؤول إلى سائل ..

- إن من صفات المجاهد الذكاء ، ويُعرَفُ الذكاء بأنه القدرة على فهم العلاقات بين الأشياء والأشخاص والأحداث ، ويملكه الجميع بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة ، فهو يختلف عن الوظائف العضوية في أنه لا يتعلق بعلم من العلوم ، ولا يستهلك أية قدرة ، ولا يسبب أي نشاط فيزيولوجي ، ولا يخضع للقياس بشكل دقيق . ويعرف الذكي بأنه ، الإنسان الذي يملك القدرة على الاحتفاظ بخبراته ، وبتنتاجها ، وبآثارها لتساعده في عملية التوافق والتلاؤم ، وبكلمة أخرى « فالذكي هو الذي يدرك الأمور إدراكاً صحيحاً ويحاول تجديد مجريات حياته فيطور نفسه وأفكاره ومبادئه » .

والتركيز يفيد الذكاء ، والتبعثر والتشبث يؤديه ، فالمراقبة العميقة للأمور والتفكير بشكل دقيق ، والدراسة المنطقية ، واستخدام الأساليب والتعبيرات الحسائية ، تؤدي إلى زيادة القدرة الفكرية ، على عكس الملاحظة الناقصة السريعة ، والانتقال السريع من إحساس لآخر ، وتعدد الصور وانعدام القاعدة ، والجهد يمنع تطور الفكر ولا تؤدي إلى زيادة القدرة الفكرية .

رابعاً - مؤهلات نفسية فكرية :

إن الكائن البشري هو صانع المعركة وأداتها ، وتستهلك المعركة قوى

(١) مشكاة المصابيح ٥٠٠٩ ص ١٣٩٥ كتاب الآداب ، باب الحب في الله . متفق عليه .

(٢) حياة الصحابة ٢٦٠ .

هذا الكائن المادية (حواسه وقواه البدنية) والفكرية ومشاعره ، وعواطفه ، وذكاءه وخياله ومحاكماته ، وهي وسيلة ليث ما يحمله قلبه من محبة للحق وانتصار له وكرهاً للباطل وإبطالاً له . إن الثالث الذي يهيمن على المعركة هو الشجاعة والذكاء والسلاح ، فالشجاع منشرح الصدر ، متسع القلب ، وعكسه الجبان محروم من سرور النفس ، فالمؤمن الذي يبائع ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] يشعر برضاء الله . . لقد قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : « قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن . . وأفرُّ منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبائع على الموت ^(١) » ؟ .

وإن تطابقت هذا الثالث ليس حتماً للحصول على النصر ، ولا بد من حساب ردود أفعال الخصم ، وعليه فالواجب الأخذ بالحيلة والحذر ، وهي أن يُحسب لكل أمر عواقبه ، وقد قيل : في الحذر السلامة ، والرسول الكريم يقول : « المؤمن كيسٌ فطن حذر ^(٢) » .

- كذلك فإن استخدام (المفاجأة) هو من صفات المتمرس الوائق من نفسه ، والمفاجأة هي بدءُ الخصم بأمر غير متوقَّعة (دهاء وقوة مكر بالأعداء ، والعمل للنصر وتقليل الخسائر) « فالحرب خدعة ^(٣) » . وقصة الصحابي نعيم بن مسعود معروفة وهو صحابي من غطفان : أسلمَ يوم الخندق ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « إني أسلمت فمرني » فقال عليه الصلاة والسلام : « إنما أنت واحد فعد إلى قومك وخدّل عنا ، فإن الحرب خدعة » فذهب إلى بني قريظة (اليهود) فدخل عليهم ، وكان حليفهم في الجاهلية ، فتكلم معهم ما شاء ، ثم مضى إلى قريش ، وكان لهم ودودٌ فقال لهم : « إن اليهود ندموا . . » وما زال بينهما حتى تخاذل الفريقان

(١) البداية والنهاية ١١/٧ .

(٢) الجامع الصغير ٩١٥٨ .

(٣) مشكاة المصابيح ٣٩٣٩ ص ١١٥٣ باب القتال في الجهاد .

وافترقا ، وانصرف الأحزاب ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] فكان عمل هذا الصحابي سبباً لتراجع العدو ، على عكس الجندي الذي لا يهمله إلا رضا قادته في خير أو شر .

إن العوامل المباشرة لتحويل الخوف إلى شجاعة ، هي الحماس (الاندفاع إلى الدعوة) أولاً ، والتعود على الخطر ثانياً ، ولا يتوافر هذا إلا في المؤمن بشكل شبه تام ، الذي عرف أن الهجوم على الموت ليس بمُيْت ، إلا إذا انتهى أجل الإنسان ، كذلك من هذه العوامل العمل ضمن الشعور أن الله مطلع على أعماله ، وأنه راضٍ عنه ، ليحصل على شرف الرضا ، ويتمثل ذلك الشعور بالطاعة (الانضباط) التي تعني التقيّد بأوامر القائد ، وتجسد طاعة أولي الأمر ، وتحيل الجهاد إلى بطولة ، فالطاعة دليل الإيمان لقول الرسول الكريم : « من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني »^(١) . وطاعة الرسول من طاعة الله : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ولقوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] ومن الطاعة تفويض الأمر لرأي الأمير ، والإسلام ينكر الطاعة العمياء « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في معروف »^(٢) . وللأمير تأديب المسيء من دون غلظة .

وهكذا الخوف الذي هو طَبِيعِي عند الإنسان يقهر بالعوامل السابقة فيحيل الإنسان إلى شجاع ، أما من سلّم نفسه للخوف فهو الجبان .

- وكذلك الأمر بالنسبة للشعور بالألم والتعب والإرهاق ، فكل هذا يُقهر بالعقيدة وطلب رضا الله . وبذا يُخلَق لدى الإنسان (التفوق) بالصبر والثبات ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

(١) مختصر صحيح البخاري رقم ١٢١١ ص ٤٠٢ كتاب الجهاد .

(٢) صحيح مسلم ١٨٤٠ .

- إن المجاهد قبل أن يحمل السلاح ما هو إلا نفس ومشاعر وميول وعواطف ، والسلاح أداة ميته تهبها النفس الحية ، لذا فكلما كانت هذه النفس سليمة من الأمراض (كالحقد والحسد واللؤم . .) ، كلما كان السلاح ناجحاً وناجحاً ورائعاً ، وإذا كانت النفس مريضة ، صار السلاح مخرباً ومؤذياً وسليماً . فالإيمان هو صحة النفس ، وهذا حال المسلمون في جهادهم بينما أصحاب النفوس المريضة هم أعداء الإسلام ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] .

- إن الحَجْرَ الأساسي في كل تفكير مُتَزَنٍ وعمل ناجح ، هو الهدوء ، الذي يعطي الفرصة لصاحبه كي يفكر ويتناقش ويدرس ويقرر ، فهو مالكٌ لزمان عقله ومشاعره ونفسه ، وخاصة وقت الأزمات ، فلا يعطي أمراً إلا بعد تأمل ، ولا يقرر إلا بعد محاكمة عقلية تامة ، ولا يتغير وضعه هذا سواء أكان فرداً أم في صفوف القيادة ، لأن عمله لله ، ومنه يطلب الأجر ، حيث يبرز من صفوف الأفراد قائدٌ تفرضه المعركة كما في معركة (مؤتة) حيث تنازل الجيد للأجود ، وكما في معركة (اليرموك)^(١) حيث عُزل خالد ابن الوليد وتولى أبو عبيدة القيادة ، وكان في صفوف الجند .

- والثقة بالنفس (لا تتعارض مع الثقة بالله ، حيث هي ثقة بوعده ووعيده) ، والتي تعني عدم التردد في اتخاذ القرارات ، بعد الأخذ بالأسباب بأقصى جهد ، حيث لا شيء يُعدُّ المرء للمستقبل إلا النظر للماضي بعد أن يخضعه للضوابط .

فالخيال جذاب وفطري ، ولكن من الجنون الاعتماد على الخيال فقط ، والناجح من يستفيد من النصائح والتجارب .

(١) اليرموك : نسبة لنهر اليرموك والمعركة جرت في منطقة وادي الرقاد ووادي خالد شمال اليرموك (من منطقة تل الجابية حتى زيزون حالياً) .

خامساً - مؤهلات قيادية :

إن القيادة القتالية ثمرة إرادة إنسانية خيرة بناة ، إنها ثمرة جهد وتعب ودراسة تنعكس على الوحدات المقاتلة بتكامل ونجاح .

تعريف القيادة: « هي فن معاملة الطبيعة البشرية »^(١) . أو:

هي فن التأثير في جماعة من الناس ، بالحث والإرشاد والقدوة الحسنة لاتباع سبيل معين^(٢) .

فهي (فن) لأنها ناجمة عن خبرة وممارسة وتجربة . توجه نحو البشر لتأخذ بزمامهم وترشدهم نحو السبيل المنشود ، بطريقة الأمر المعقول ، والسلوك الحسن ، والإرشاد الصحيح « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف »^(٣) . والقائد يتصف بصفات اجتماعية وعسكرية ونفسية وثقافية وقيادية من صُلب شخصيته ، وهي ملكٌ لجميع من يقودهم ، فهو لم يولد قائداً ، ولم يرث القيادة من أبوين ، ولكنه مارسها وتعلمها ، وسعى وراء صفاتها الحميدة ، وتعب في تأهيل نفسه وشخصيته ودوافعه .

القيادة في الحقيقة ، هي أمرٌ بسيط ، المهم فيها فهمنا لمن نتعامل معهم وإفهامهم رأينا جيداً ، أي اقناعهم بأنهم يريدون ما نقول ونأمر ، لأن الكثيرين لا يسمعون ما يقال ، ولكنهم يسمعون ما يتخيلون .

ومن القيادة مشاورة ذوي الرأي فيما أغضل (عقد خالد بن الوليد مع مستشاريه اجتماعاً ، وشرح لهم الموقف ، وسألهم ، « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء الروم وجموعهم ؟ فإني إن استقبلتُها حبستني عن إغاثة المسلمين ، وحينما حذرروه من أن يغرر بالمسلمين قال : « لا بد لاختيار

(١) الذكاء والقيم المعنوية ٥٢ .

(٢) الذكاء والقيم المعنوية ٥٢ .

(٣) الجامع الصغير - البيهقي ضعيف .

الطريق» (المحدد) وأضاف : لا يختلفنَّ هديكم ، ولا يضعفنَّ يقينكم ، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية ، وأن الأجر على قدر المشقة ، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكثرث لشيء يقع فيه مع معونة الله^(١) . ويجب تطبيقُ قاعدة الشورى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ آل عمران : ١٥٩ والقائد الناجح يعرف كيف يختار رجاله المستشارين ، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : «رحم الله أبا بكر لقد كان حكمه على الرجال خيراً من حكمي»^(٢) .

والقائد هو الأقدر على فنون الحرب ، والخير بها ، والخير برجاله وتدريبهم ، وبالعدو وبسلاحه ، ومعنوياته وتدريبه ، وبالأرض وخصائصها وبالأنواء الجوية والاستفادة منها ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُومَ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

- والقائد لئِن الجانب من غير ضعف ، إنه أب رؤوم ، ليس بقاسٍ ولا جبار « خيار أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويدعون لكم وتدعون لهم »^(٣) . وإنه قوي الشخصية محبوب ، وهو يحط من قدر نفسه إذا طلب الكثير ، ليحصل على ما ينبغي .

- القائد يعرف امكانات مرؤوسيه ويسند إليهم المهام بالقدر المناسب « لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه »^(٤) . ويُلهب حماسهم لا للقيادة ولكن للتضحية في سبيل الله .

- وحبُّ الظهور والرئاسة بعيدة كل البعد عن القائد ، لأن طلب الدنيا

(١) الطبري جزء ٢/٦٠٩ .

(٢) الطبري ٢/٩٨ .

(٣) صحيح مسلم ١٤٨١ .

(٤) مختصر صحيح البخاري رقم ١٢٠٧ ص ٤٠١ كتاب الجهاد .

يَتَنَافَى وَطَلَبِ الْآخِرَةِ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِجَمْعِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] .

- القائد هو القدوة الحسنة في فهمه لأمر الشرع وتطبيقها ، فهو الأول في المبارزة والتحرك والآخر في العودة ، فهو مسؤول عن تزكية جنوده وتطهيرهم من عادات وشعارات هابطة ، يؤمهم بالصلاة ، ويتدارس معهم كتاب الله ، ويناقش الأوضاع العامة فيصقلهم بيوثقة الدعوة ، ويصلح بدايات المرؤوسين باتجاه الأصلح لأن الالتزام بطاعة الله وشرعه أساس النجاح ، فالأهداف السامية لا تتحقق إلا بوسائل وسمات خيرة نبيلة .

ولا يصطحب الأمير معه مخدلاً ولا مرجفأ ، ولا من يعين على المسلمين بالتجسس لمصلحة العدو ، ولا من سبق أن ارتد عن الإسلام .

والحرص على سلامة الجيش ، وعدم إيرادهم المواقع الصعبة ، وتأمين حراستهم من غرة يظفر بها العدو منهم ، والقائد الناجح هو الذي يجبر جيش العدو إلى الساحة التي هي أصلح لجيش المسلمين في التمكن من القتال ، (يفرض على العدو المكان والزمان) .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسأل أمراء الجيش عن مواقعهم ، فيصفون له الأرض التي يُعسكرون فيها ، وكثيراً ما كان يطلب منهم تغيير المواقع ، يقول : (إنه ليس بموقع) .

- إن القائد مسؤول عن إعداد ما يحتاج إليه الجيش من تموين ووسائل نقل وتجهيزات .

- يقوي معنويات جنوده مما يقرب إليهم من احتمال الظفر .

- وعليه أن يعد أهل الصبر والبلاء بالشواب من الله إذا كانوا من أهل الآخرة ، وبالجزاء والفضل من الغنيمة إذا بقوا أحياء .

- عنده فكرة عن سلوك الإنسان في الصحة والمرض ، والراحة والأزمات ، وفي حالات القوة وحالات خوار الأعصاب ، فهو مالكٌ لزام

مرؤوسيه ، ولا يوجّه الأفراد إلا وُفق ميولهم وملكاتهم ، ويقوي معنوياتهم بالقول ، وبتطبيق العدالة ، والحوافز وبغيرها فعلاً .

- يُثَقِّف نفسه بثقافات عصره من سياسة واجتماع واقتصاد وعلوم كونية ، وله مهنة يتقنها ، ويطور من قدراته بالتحليل والتركيب (الاستنتاج) بشكل موضوعي أمام الحالة الراهنة ، ليقوم باتخاذ قرار سليم صحيح ، وتأمين قناعة لخير العمل ، والقائد المنظّم يشير إعجاب أتباعه ويؤمنون على مصيرهم معه ، لا يتيه للأخبار الحسنة ، ولا يخور أمام السيئة ، قادرٌ على صراع العدو وعلى إغراقه بالشك لأطول مدة أثناء معركته .

سادساً - مؤهلات قتالية ضمن المثل العليا :

وهذا يعني أن يكون الفرد مقاتلاً باذلاً نفسه رخيصة لتحقيق ما آمن به . والحرب في تعريفها ، صراعٌ جماعي بين إرادتين متعارضتين ومستقلّتين لكنه صراعٌ مُميت . إنه (صراعٌ جماعي) لأن الجميع يشتركون في وقت واحد في عمل واحد و(مमित) لأنه ينتهي إلى الموت ، وأما هو (بين إرادتين) فالإرادة الأقوى هي الغالبة (والإرادة المنبعثة من عقيدة إيمانية بالله هي الأقوى) .

إن العوامل التي تلعب دوراً في تهيئة الفرد ، لأن يكون مقاتلاً كثيرة منها (الجنس) فالذكور أكثر ميلاً واستعداداً لهذه المهمة .

كذلك (العمر) و(الصحة العامة) ، و(الخلو من الأمراض والعاهات) ، ومنها كذلك (الوسط الاجتماعي) الذي ينتمي إليه المقاتل .

ومنها كذلك (درجة الإيمان بالأفكار التي يحملها) . فمن يوجد في مواجهة الخطر ، يجد نفسه متأثراً بدوافع إيجابية ، كالحماس للدعوة ، وإرضاء الله ، والاعتقاد على المخاطر ، والشعور بالرضا ، وهذه تشكل قوته المعنوية . كذلك يتأثر بالطاقة النفسية ، التي تدفعه للتغلب على أسباب

الانهيار التي تولدها الحرب (تعب - حرمان - آلام معنوية) كحرب الانتصار أو خوف الهزيمة وتصديق وعد الله .

أما الدوافع السلبية فهي المنبعثة من غريزة المحافظة على البقاء (فالإنسان مدفوع لحماية وجوده - واستمرار وجوده) ، والمثل العليا التي يحملها المجاهد منبثها العقيدة الإسلامية . فالإسلام ينهى عن الضعف أمام العدو ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] . والمجاهد يقاتل بتجرد كامل عن أي مغنم مادي أو معنوي سوى رضا الله (لتكون كلمة الله هي العليا) .

والمقاتل شديد الصلة بالله وبرسوله ﷺ لأنه في كل حركاته وتصرفاته هو في طاعة : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَنْفِطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

والمقاتل صابر ، والصبر حبس النفس على ما تكره ، ومما تكرهه النفس القتال الذي تسيل فيه الدماء ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُ فِتْنَةٌ فَأَنشَرُوا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] والصبر إذا مزج بالتقوى يكون أقوى ﴿ وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

والمجاهد متوكل على الله ، والدين نصفه : توكل « استعانة »^(١) . والنصف الآخر : الإجابة « العبادة »^(٢) . وإن مما يدل على التوكل حسن الظن بالله وعكسه سوء الظن بالله وخاصة وقت الشدة ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] والتوكل يقتضي اتخاذ الأسباب ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا

(١) مدارج السالكين ٣/ ١١٤ .

(٢) مدارج السالكين ٣/ ١١٤ .

لَمْ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾
[التوبة : ٤٦] .

إن تتبّع وصايا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لقادة المعارك تبين لنا المثل التي يقاتل لها المسلمون المجاهدون .

يقول عليه الصلاة والسلام : « إن أول الناس يقضى بينهم يوم القيامة رجلٌ استشهد فأُتي به فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : « قاتلت فيك حتى استشهدت » قال : كذبت ، ولكن قاتلت حتى يقال جريء ! وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقي بالنار »^(١) .

وقوله ﷺ يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح على يديه » . ثم دعا ﷺ في اليوم التالي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه الراية وقال « امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك » فسار عليّ رضي الله عنه شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فقال صارخاً : « يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس » . . ؟

قال ﷺ : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله »^(٢) .

ولقد وصى الصّدِّيقُ جيش أسامة فقال : أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها علي « لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً إلا لمأكلة »^(٣) .

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٢٨٩ رقم ١٠٨٩ كتاب الجهاد ، باب من قاتل للرياء والسمعة .

(٢) رياض الصالحين رقم ٩٤ ص ٥٣ رواه مسلم .

(٣) الطبري ٤٦٣/٢ .

- كما وصى الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان عندما بعثه قال :
«أثناء سيرك لا تقسو على نفسك أو على جيشك ، ولا تكن شديداً على
رجالك ، أو قادتك المرؤوسين ، وعليك أن تشاورهم في جميع الأمور ،
كن عادلاً ، وأقلع عن الشر والظلم ، فالأمة التي لا تحكم بالعدل لا يمكن
أن تُفلح وتنتصر على أعدائها . عند ملاقاتك العدو لا تولي الأدبار ، لأن
من يولي الأدبار -إلا لمناورة أو إعادة تجميع- يوءُ بغضب من الله ،
ومصيره جهنم وبئس القرار . وعندما يَمُنُّ عليك الله بالنصر على
أعدائك ، لا تقتل امرأة أو طفلاً أو شيخاً ، ولا تذبح حيواناً لا تريد أكله ،
ولا تنقض عهداً أخذته على نفسك ، وسوف تأتي أناساً يعيشون كالرهبان
في الأديرة وهم يعتقدون أنهم يتعبدون الله ، فدعهم وشأنهم ، ولا تدمر
أديرتهم ، وسوف تقابل أناساً آخرين ، موالين للشيطان وعبدة الصليب ،
وهم يحلقون منتصف رؤوسهم ، فترى فروة رؤوسهم ، فاحمل عليهم
سيفك حتى يعتنقوا الإسلام أو يدفعوا الجزية ، وإني أترك لعناية الله»^(١) .

وكان الصديق يوصي قواده بأن يمنع القائد أصحابه من العجلة
والفساد ، وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لثلا يكونوا
عيوناً ولثلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقصد بالمسلمين ويرفق بهم
في السير والمَنَزَل وأن يتفقدهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، وأن
يستوصي بالمسلمين في حُسن الصحبة ولين القول أبداً . والقائد حَذِرٌ يَقِظٌ
دوماً ، يسهر على تعبئة جيشه ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا حُدُوا حُدْرَكُمْ . . ﴾
[النساء : ٧١] لأنه موالى لله ورسوله والمؤمنين ومعادي للكافرين ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَّةً ﴾ [المتحنة : ١] .

والعدالة من مقومات القيادة ، فالدولة العادلة أحق بالقيام في الأرض

(١) المغازي، الواقدي ٤ .

ولو كانت كافرة ، وليس ذنب أسرع عقوبةً من البغي وقطيعة الرحم^(١) .
- إن القتال لمجرد نهب الأموال ، أو للسمعة أو الرياء ، أو للمكاسب
الدنيوية ، ليس من الجهاد في شيء ، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن القتال
في بعض أيام خيبر ، فقاتل رجلٌ فقتل ، فقيل له : استشهد ، فقال عليه
السلام : أبعدما نهيت عن القتال .. ؟ قالوا : نعم ، فقال : « لا تحل الجنة
لعاصٍ » .

والعصيان هو فيما لا يتعين فيه الخطأ من الأمير .

* * *

(١) الفتاوى ٤/١٩٩٤ .



الفصل الرابع

الإعداد القتالي

ويشمل :

- الإعداد القتالي البدني
- الإعداد للنفير (دعوة الإحتياط)
- الإعداد السياسي والعقائدي
- استخدام الأسلحة
- استخدام وسائل الاستطلاع
- استخدام المناورة

أولاً - الإعداد القتالي البدني :

ويشمل تعليم العقيدة العسكرية والقواعد العامة للعلم العسكري ، كما يشمل التدريب على الفن الذي يمكن بفضل تطبيق القواعد في الحالات الخاصة .

كما يشمل تربية الشخصية ، وإرادة القتال ، للإنتقال من التفكير إلى القرار والعمل .

- إن الحرب فن بسيط ، والتنفيذ هو « كل شيء » وهي فن لأنها تتطلب

تدريباً ولا يمكن الحصول على المهارة الفنية إلا بالتدريب .
والتدريب ضروري للحصول على معلومات (علوم عسكرية) ، وعلى
تفكيرٍ اعتاد على معالجة الأفكار ودراستها ويشمل :

أ - ما يُعطى للمتعلم من معلومات ضرورية لتنفيذ النشاطات التي
ستمارس ، حيث يوضع المتعلم مع حالات واقعية .

ب - ما يعطى للمتعلم من أساليب تدفعه للتفكير فيما تعلم ، حيث المناورة
بوحّدات صغرى - مثلاً - مشابهة للمناورة بوحّدات كبرى . كما إن الاهتمام
بالتفصيلات ، والبحث عن الإتقان ضرورة حيوية هامة ، فمعلم السباحة الذي
يقسم الحركات خارج الماء ، يطلب من التلميذ إتقاناً لا يطلبه عندما يلقي
بالتلميذ في الماء لأن ردود فعل الماء كفيّلة بإصلاح الأخطاء بشكل فعال^(١) .
يقول عليه الصلاة والسلام « إنما العلم بالتعلم »^(٢) . ولا يمكن تعلم العمل
الحربي إلا بالممارسة ، وتشمل الممارسة :

- التعليم : تعلم القواعد العامة للعلم العسكري وعلم الانضباط .

إن السرعة في تأدية الأعمال أثناء المعركة عنصر رئيسي للمفاجأة ،
وعلى المجاهد أن يبحث عنها بكل وسيلة ، ولكن السرعة تتعارض مع
الإتقان ، ومهما كان نوع النشاط الذي سيمارسه المجاهد ، فلا بد من
تأمين الإتقان ، وتصحيح الأخطاء ، وبعد ذلك يتم البحث عن السرعة
بصورة متدرجة (بالتكرار المستمر) ، وهذا التكرار يفيد في أنه يحدد
العمل الفكري إلى أقل درجة وخاصة وأن المجاهد أثناء المعركة يقع تحت
تأثير انفعالات مختلفة ، فينقلب العمل الذي يصادفه إلى ردود فعل وتطبيق
للحركات الآلية بشكل واسع . إن التدريب العسكري يقلب المعرفة إلى
إتقان .

(١) الذكاء والقيم المعنوية ١٢٧ .

(٢) الجامع الصغير ، الخطيب البغدادي ضعيف .

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان له من صحابته رامياً من أمهر الرماة اسمه (حبيب) وقد ترك التمرن على الرمي لمزاولة العبادة ليلاً ونهاراً ، حتى هزل جسمه ، ولما شاهده رسول الله ﷺ على هذه الحالة سأله : « ما فعل رميك ، وما بجسمك من نخل » . . ؟

فأجابه رجلٌ كان بجانبه : « بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، لقد تركه ، وأقبل على العبادة » فقال رسول الله ﷺ : « والذي بعثني بالحق نبياً ما الذي أقبل عليه بأفضل مما تركه . فعاد الرجل إلى رمية » (١) .

- والتدريب على الفن الذي يمكن من تطبيق القواعد الأساسية على الحالات الخاصة .

والتربية تربية الشخصية والإرادة للانتقال من التفكير إلى القرار .

إن العنصر الأساسي في التربية العسكرية هو إيجاد انضباط حازم عادل يتطور لينقلب إلى تذوق ، ولكن لا يصل إلى مرحلة الإذلال ليحطم إرادة المرؤوسين وإذابة شخصيتهم (كما يحصل في بعض المعاهد العسكرية لدول الغرب والشرق) ، وقد ينجح القائد إذا كان قلبه قاسياً ، ولكن لا يستطيع أن يقود بنفسٍ دنيئة .

إن التدريب الهادف للفرد والجماعة هو من مظاهر وضوح الشخصية العسكرية ، وهو يشمل زيادة قدرة التحمل البدني في ظروف قتالية صعبة : (قتال قريب - قتال شوارع - قتال غابات - قتال جبال - إلخ) ، وفي أنواء جوية مختلفة (حرارة عالية - ثلوج إلخ) . وفي مناطق مختلفة (صحارى - مستنقعات . . أنهار) ، كما يشمل جميع أنواع الألعاب الرياضية التي تحتاج لياقة بدنية عالية (ألعاب القوى المصارعة ، الملاكمة ، التسلق ، الحواجز ، القفز . . إلخ) .

(١) العقد الفريد ج ١ / ٦٩ والسلام والحرب في الإسلام ٨٤٥ .

- كما يشمل التدريب على استخدام أصناف الأسلحة ، وقد كان هذا سهلاً عندما كان السلاح الفردي هو المستخدم بشكل رئيسي ، أما بعد أن صارت الأسلحة جماعية ، فلا بد إذن أن يتم التدريب في ثكنات ، وبإشراف قادة متخصصين في صنوف الأسلحة ، كما لا بد من تدريب القطعات النظامية (الدائمة) ، وأفراد الاحتياط بفترات زمنية حسب خطط مقررة سلفاً ، هذا الإعداد هو من القربات إلى الله للمدرب والمتدرب . فهو يفيد المتدرب بشعوره برضاء الله ، وزيادة ثقته بقدراته وبسلاحه لأن الإنسان عدو ما يجهل ، ويزداد ارتباطاً بالمجموعة التي يتدرب معها ، وتزيد الألفة والتعاون فترتفع الروح المعنوية للأفراد ، وتقوى محصلة الروح المعنوية الجماعية ، وبالتالي تشعر الأمة بقوتها .

وإذا شعر العدو منها ذلك ، هابها وأعاد حساباته عند التعامل معها ، هذه القوة هي الواجب إعدادها ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

لقد أرسل خالد بن الوليد لهرمز الحاكم الفارسي لولاية (واست ميزن) (١) .

«أما بعد ؛ فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومنَّ إلا نفسك ، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة» (٢) .

وقد فسر الرسول الكريم ﷺ معنى القوة بقوله : «ألا إن القوة الرمي . .

(١) منطقة متاخمة للجزيرة العربية (عربستان) وفيها مدينة الأبلّة الميناء الرئيسي للأمبرطورية الفارسية .

(٢) الطبري ٥٥٤/٢ .

قالها ثلاثة»^(١) . وهذه من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، فالتقدم العلمي الذي بلغ مداه في هذا العصر ، يعتمد دقة الرمي أساساً فالمدافع والدبابات والطائرات والصواريخ ، كلها تتطلب الدقة في الرمي ، وعلم الرمي يحتاج لعلوم شتى كالطبوغرافيا والأرصاد الجوية إلخ . . .

وكالعلوم التي تتعلق بطبقات الجو وبسير المقذوف والأجهزة اللازمة للقياس وكالعلوم البلاستيكية والعلوم الرياضية العالية - من زوايا واحتمالات - وكل ما يتعلق بالانحراف الناجم عن دوران الأرض والجاذبية . . إلخ .

بالإضافة إلى لياقة بدنية وشجاعة وجُرأة ، لأن الأعمال تتم في ظروف المعركة حيث العدو الذي لا يرحم .

وقد حذّر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من تعلّم الرمي من أن ينساه ، كما حذر من حفظ القرآن من أن ينساه ، وأمر كلاهما أن يتعهد نفسه بمراجعة تدريباته باستمرار ، وذلك استعداداً للنفي . . .

يقول عليه الصلاة والسلام : « من تعلّم الرمي ثم تركه ، فقد عصاني . . »^(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يَحْتَسِبُ صنْعته الخير ، والرامي له ، والممد به »^(٣) .

وقوله عليه الصلاة والسلام للحض عليّ الرمي وقيادة المركبات (الأسلحة البرية والجوية والبحرية كافة عبارة عن مركبات . .) يقول : « ارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا . . »^(٤) .

(١) العقد الفريد ٦٩/١ .

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٩١٩ ج ٣/١٥٢٢ .

(٣) مشكاة المصابيح ٣٨٧٣ ، وسنن أبي داود رقم ٢٥٢٣ ج ٣/١٩ .

(٤) مصنف أبي شيبة رقم (١٢١٩٣) ج ١٢/٨٦ .

ويقول عليه السلام : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً »^(١) .

ثانياً - الإعداد للنفير (الاحتياط) ويشمل :

- تدريب الأفراد

- إعداد الكوادر

- التدريب على استدعاء الاحتياط وتنفيذ المهام .

أ - إن تدريب الأفراد بعد تأدية الخدمة الإلزامية وتعبثهم في وحدات مقاتلة يمارسون فيها تمارينهم على استخدام الأسلحة وعلى الأعمال القتالية في أوقات محدودة دورياً (كل أسبوعين - شهر - ستة أشهر - سنة) ، هو من الأمور الأساسية في الوصول إلى استعداد قتالي عالٍ ، وجاهزية كاملة للأعمال الجهادية ، لأن الجيوش النظامية نادراً ما تكفي لتنفيذ المهام القتالية ، فضلاً عما تشكّله من أعباء مالية ، وامتصاص لقوة الشعب العاملة ، وتأخر في اقتصاد البلد . لكن الاحتياط المدرب الذي تعبأ في وحدات هو الرديف ، وهو الدم الجاهز الذي يُقدّم أثناء العمل الجراحي ، وعليه ، فتزداد قيمة الاحتياط وجدواه وفعاليتة بقدر التصاقه بال سلاح وبالوحدة المعبأ بها .

ب - إن الكوادر المؤهّلة التي تقوم بتدريب الاحتياط ، وإعداد مناهج خاصة تشمل : - أي المناهج - التدريب على جميع الصنوف ، ونقل ما توصل إليه العلم من تطور في الأسلحة والمعدات ، ودور هذه الأسلحة في أعمال التعاون بين الصنوف ، وتبيين الصفات والخصائص الفنية والتعبوية بها .

هذه الكوادر يجب أن تكون على مستوى المسؤولية من العلم والخبرة والحماس الكافية لرفع مستوى أفراد الاحتياط ، وحفظ أسلحتهم ومعداتهم

(١) أعلام الموقعين ٣٨٦٤ ، وصحيح البخاري ٢٨٩٩ . .

وسجلاتهم جاهزة . وهكذا تُشكل قطعاً قتالية احتياطية جاهزة (بكوادرها) ومستعدة حال استدعائها للتحرك ولتنفيذ المهام .

ج - إن أسلوب استدعاء النفير يتم بوسائل الإعلام المختلفة ، وباستخدام الرموز (الشيفرة) وبشكل سري وبعيد عن أعين العدو وهكذا يتم تأمين تشكيل وحدات قتالية متناسقة وجاهزة بوقت قصير ، وقادرة على تنفيذ المهام الموكولة إليها دون أن تتوقف الأعمال اليومية للمجتمع ، كل هذا يتعلق بارتباط الأفراد بالقضية التي يعملون لها ، ودرجة إيمانهم بها ، لذا فالمسلمون إذا سمعوا داعي الجهاد تنادوا دون تأخير ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٦﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ . . ﴿ [التوبة : ٣٨] . ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] .

- إن الخليفة الأول -الصديق- رضي الله عنه كان أول من أعدَّ قواعد النفير ، حيث عيّن القادة للتشكيلات وعين معاونيهم ، وأرسل الكوادر الاحتياطية ، وطلب منهم استدعاء وحداتهم . حيث فاجأ المرتدين في حروب الردة بدعوة أحد عشر لواءاً ، وأسند إليهم مهام ، وبذلك قضى على فتنة المرتدين .

وكذلك عين قادة أربعة جيوش مع كوادرها وأرسلهم بمهام لفتح الشام ووزعهم على مناطق مختلفة ، وصار يزودهم بالأفراد (الاحتياطيين) على مدى أربعة أشهر ، كانت التشكيلات والقادة على أرض قريبة من العدو ، بحيث لا تفقد التماس معه ، وبحيث تتعاون فيما بينها ، وتتعرف على الأرض التي ستقاتل عليها وعلى طبيعتها ، وعلى الأنواء الجوية التي ستعيشها ، وعلى طرق الإمداد وأماكنها ، وتتعرف على العدو وطبيعته ، وتدريبه وقادته ، وتشكيلاته وترتيبات قتاله ، وتسليحه ، والجوار ، وعلى باقي الأمور ، إلى أن تم الاستعداد ، وحين وقت المعركة ، فأرسل لها قائداً

عاماً يقودها بعد أن استكملت استعدادها وتدريبها ، هذا القائد هو خالد بن الوليد ، لقد جاء في رسالة الصّديق رضي الله عنه إليه ما مفاده ومعناه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة^(١) إلى خالد بن الوليد السلام عليك ، أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام : سِرَّ حَتَّى تَصِلَ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ الشَّامِ وَإِنِّي أَعَيْتُكَ عَلَى جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرُكَ أَنْ تَقَاتِلَ الرُّومَ ، وَأَنْتَ الْقَائِدُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَازْهَبْ بِسُرْعَةٍ يَا أَبَا سَلِيمَانَ وَأَتَمِّمْ عَمَلَكَ بِمَعُونَةِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ ، وَأَقْسِمُ بِجَيْشِكَ إِلَى قَسَمِينَ ، وَدَعْ النِّصْفَ مَعَ الْمُثَنَّى الَّذِي سَيَخْلُفُكَ فِي الْعِرَاقِ . فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الشَّامِ ، فَارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ فِي الْعِرَاقِ وَلَا يَذْخُلَنَّكَ عُجْبٌ فَتَخَسَّرَ وَتَذَلَّ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَبَاطَأَ بِعَمَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْمَرْءُ وَهُوَ وَلِيُّ الْجَزَاءِ » . كَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ عَادَ مِنَ الْحِجْجِ ، وَدَعَا إِلَى حَمْلِ السِّلَاحِ مِنْ أَجْلِ فَتْحِ بِلَادِ الشَّامِ وَلِبَيِّ دَعْوَتِهِ الْمُحَارِبُونَ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الْإِسْلَامِيَّةِ : (عُمانَ وَالْيَمَنَ وَأَنْحَاءَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ) ، جَاءُوا رَاكِبِينَ وَمُسَلَّحِينَ ، وَجَلَبُوا مَعَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ ، فَاسْتَبَعَدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَدْ ارْتَدَ ، وَتَمَّ تَعْبِثُ الْقَادِرِينَ عَلَى حَمْلِ السِّلَاحِ ، وَنُظِمَتِ الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ فِي أَرْبَعَةِ أَلْوِيَّةٍ ، كُلُّ لُؤَاءٍ مَكُونٍ مِنْ سَبْعَةِ أَلْفِ رَجُلٍ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَنْ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، شُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ ، هَذَا قَبْلَ مَجِيءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

لقد كانت دقة استدعاء الاحتياط وانتظامه مفخرة للأمة الإسلامية .

ثالثاً - الإعداد السياسي والعقائدي :

- يحسبُ ميزان التفوق بالقوى على أساس عدَد القوات مضروباً بالإمكانات + القيادة لكل طرف ، فأيهما كانت لديه المحصلة أكبر كان له

(١) ابن أبي قحافة هو أبو بكر سماه رسول الله ﷺ عتيق .

التفوق أي (عدد القوات × مستوى التأهيل والتدريب × مستوى التسليح × القيمة المعنوية التي يتمتع بها المقاتلون ومدى الانضباط) ففي أي الطرفين كان الميزان أرجح كانت الغلبة . ولكن في جيش المسلمين هذه العوامل لا تعني إلا الشيء اليسير في الميزان : بل إن صحة العقيدة والتمسك بها والإيمان بها والفداء لأجلها هي المرجح ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَأِذِنُ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا وَقَاتِلْنَا لِأَنَّا نَصْرَفُ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأِذِنُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٤٩-٢٥٠] .

ولم يسجل في تاريخ الجهاد للدعوة أنه حصل توازن ، أو أن التوازن كان لصالح العدو بشكل معقول ، ولكن المسلمون كانوا دوماً قلة ، وبوعده الله تحصيل الغلبة لهم ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ سُمْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٧﴾ [الأنفال : ٦٦-٦٧] .

وهكذا فميزان القوى بين المسلمين والكافرين يتراوح بين (١-٢٠) و(١-٢) حسب درجة الإيمان وصدق التوكل على الله ، والرسول الكريم ﷺ يقول : « ولن تغلب اثني عشر ألفاً من قلة »^(١) فأبي ميزان هذا الذي يعمل به المؤمن ؟ .

إن الإعداد السياسي والمعنوي يعني أن يثق المجاهد أنه في طاعة الله ، وأن عليه أن يحافظ على صلته بالله ، لذا ، فهو أحشى ما يخشى ذنوبه ولا

(١) سنن الترمذي رقم ١٥٥٥ ج ٤ ص ١٢٥ من حديث: خير الصحابة أربع وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة .

يخشى العدو لأن « المعاصي بريد الكفر » ، وهذا ما كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يوجه إليه عندما يرسل الجيش قائلاً : « واعلموا أنكم لن تُنصروا إلا بذنوب أعدائكم فإن تساويتم في الذنوب كانت الغلبة لهم ، لأنهم الأكثر » . وهكذا فالمؤمن بإخلاصه لله يستحق تأييد الله ونصره .

﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيَاتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ . . ﴾ [الأنفال : ٥] ويرى الملائكة الأعلى معه (الملائكة) تشد أزره ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] . ويشعر المجاهد أنه ليس بينه وبين الجنة إلا أن يُقتل ، فقد سقط الحجاب وبان له الجنة ، فهذا يقول : « لأشم رائحة الجنة » وآخر يقول : « بخ . . بخ إنها حياة طويلة إذا بقيت لآكل هذه التمرات ، فألقاها وتقدم . . .

إن إعداد المجاهد العقائدي ، هو تأمين على مستقبل عياله بعد أن رأى مستقبله فهم من بعده بكفالة الله .

والقوة المعنوية المحرّكة للمجاهد تجعله منسجماً مع الهدف الذي جاء به إلى الدنيا أولاً وهو تحقيق العبودية لله ، والشهادة في سبيله وهو بمجرد أن بايع ونطق بالشهادتين وتحرك لتنفيذ أمر الله ، بدأت تُسجل له الحسنات ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَبْتَغِ الْكُفَّارُ وَلَا يُنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

إن الإيمان هو المحرّك لدقّة العمليات ، والقادر على التعويض عن النقص المادي بالقوى والوسائط ، وعلى التغلب على الصعاب ، والقادر على جعل القتال فناً ، ومن دونه يصبح مهنة وتكتيكاً .

لقد أرفد الخليفة الأول أبو بكر الصديق القائد خالد بن الوليد عندما طلب منه أن يعززه ، بقوات رفده بصحابي واحد هو القعقاع بن عمرو^(١) (واحد منهم بألف) والحال عند أعداء الله (ألف كآف) .

(١) الطبري ج ٢ / ٥٥٤ وقال فيه : لا يهزم جيش فيه مثل هذا .

رابعاً - استخدام الأسلحة :

إن التقدم العلمي يسير جنباً إلى جنب مع تطور الأسلحة ، ويمكن عدُّ الحرب الحديثة سبباً لتطور الأسلحة ، كما أن استخدام الأسلحة ينم عن مدى التطور والمستوى العلمي الذي وصلت إليه الأمة .

لقد استخدم المسلمون السيوف ، وكانوا صانعيها واشتهرت بلدان كثيرة بصناعتها (كاليمانية والبصرية والدمشقية) حسب المدن التي صنعت فيها . وإحكام العمل بالسلح لا يتساوى فيه الناس ، ويتفاوتون فيه حسب المستوى العلمي ، ودرجة التمرين ، والقوة البدنية .

كذلك استخدم المسلمون الرماح ، واختص بحمله الفرسان ، وحضَّ الإسلام على استخدامه والتدرب عليه : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه - يحتسب في صنعته الخير - والرامي له ، والمُمِدُّ به »^(١) . واستخدموا القسيِّ : وهي أعواد من الخشب مقوَّسة تُثَبَّت عليها أوتار ، ترمى بها السهام ، ولما حاصر المسلمون الطائف ، استخدموا (المنجنيق) بعد أن استخدموه في معركة الخندق بتعليم من سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

ولقد استخدم المسلمون الدبابات التي تتسع لعشرة أشخاص ، بعد أن طُوروها لحصار القلاع والحصون^(٢) ، واستخدم سيدنا خالد بن الوليد سلالم الحصار في فتح دمشق ، حيث كانت تصنع من الحبال ثم تطورت لتصنع من الخشب والحبال ، ولها خطافات^(٣) يسهل تعلقها بحجارة السور ، وكان

(١) سنن أبي داود ٢٥٢٣ ج ٣ .

(٢) جاء في (الطبري ٣/٨١) : « ولم يشهد حينئذٍ ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجُرش [وهي من مخاليف اليمن] يتعلَّمان صنعة الدبابات والضُّبور والمناجيق » ، وهذا يدل على أهمية صناعة معدَّات الحصار التي كانت متقدمة في اليمن .

(٣) سيف الله ٤٠٥ . الجنرال آ . أكرم .

البحث العلمي ، والتجسسُ على استعدادات العدو رائدهم في تطوير الأسلحة ، حيث أدخل المسلمون كثيراً من التحسينات على النار اليونانية (آلة من النحاس ، تقذف النفط وهو يحترق بشكل مستقيم وعلى شكل أسطواني ، لها ذبول من خلفها مثل الحراب) (١) .

كما أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان أول من استخدم الحسك الشائك عند حصار الطائف (يسد مسد الألغام والأسلاك الشائكة) .

- والمسلمون المغاربة أول من اخترع الأسلحة النارية في حرب سرقوسة (٢) عام ٥١٢ هـ .

- إن الأسلحة المستخدمة حديثاً ليس المسلمون بعيدين عنها بل هم قادرون على استخدامها بتفوق ، لأنهم ليسوا بعيدين عن العلم والتكنولوجيا ، ودليل ذلك التفوق الذي حققوه في حرب رمضان على العدو . فالجيش الذي رفع راية (الله أكبر) ، ونادى بها على ضفة (القنال) قد أدهش العالم وهو يحطم خط ما يسمى (بارليف وتحصينات القناة) التي صنعتها أحدث الوسائل العلمية ، وأرادت لها أن تكون مستحيلة الاجتياز ، قد دكها جيش (الله أكبر) بما أعده لتدميرها من فكر علمي ، وبحث دام سنوات ، فقضي على أسطورة التفوق الاستراتيجي والجيش الذي لا يُقهر ، وسرعان ما امتصت وسائل الغرب هذه القفزة وحاصرتها . ومثلها شعور الغرب وذبوله أن نظام العراق يملك القدرة الذاتية للدفاع عن حقوقه ، وخوفه أن يعود لرفع راية (الله أكبر) فيكون السلاح والعقيدة معاً كارثة على ما يبينه من همجية القرن العشرين .

(١) التمدن الإسلامي ١٧٩/١ .

(٢) قال العلامة التونسي عثمان كفاك في محاصرة ألقاها على المسرح العسكري بدمشق كانون الأول ١٩٦٢ إن المسلمين عرفوا البارود في عهد هارون الرشيد الذي وعد بعض الأسرى الصينيين بإطلاق سراحهم إذا كشفوا له سر صناعة البارود فقاموا بذلك .

- كذلك في أفغانستان ، شعرت القوة العظمى التي أذلت المسلمين ربحاً من الزمن أنها لا قبل لها بجيش (الله أكبر) وهو يستخدم الأسلحة التقليدية بكفاءة عالية ، وهكذا سقط النظام الذي كان يملك أفنك الأسلحة . إن الأمة الإسلامية لا ينقصها تسليح أو تدريب ، ولكن تنتظر مُنظِّرين لا ليرسموا لها الطريق ، أو يبينوا لها الهدف ، ولكن ليضعوا أقدامهم على أول الطريق وتسير وراءهم بعزيمة تُعيد ما انقطع من وصل الأبناء بالآباء ، وإن يوماً لناظره قريب .

خامساً - استخدام الاستطلاع :

تشمل هذه الوسائل المراقبة بالنظر ، وبالأقمار والصور الجوية ، ووسائل التنصت ، واستخدام العملاء والعيون ، واستخدام أبناء البلاد والدبلوماسيين وجميع وسائل التجسس ، وغايتها التعرف على العدو ونشاطه وتدريبه وتسليحه ، ونواياه وكل ما يمت له والمتعاونين معه قبل المعركة ، كما يشمل تحركات العدو ، وأعماله المتوقعة بعده ، واحتمالات هجومه ، وترتيب قتاله ، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا بالتَّماس الكامل معه .

إن من تدابير رسول الله ﷺ في الاستطلاع التعرف على الخصم : عدده ، تسليحه ، قيادته ، تواجده ، واحتياطاته ، ولهذا كان يرسل السرايا والعيون وتأتيه بالأخبار من مكة ، (عن طريق الذين لم يظهروا إسلامهم كعمه العباس ، أو المؤيدين للدعوة) . كما أنه لم يقم بغزوة إلا كان يوري ويُمَوِّه وإذا عزم على الخروج خرج باتجاه مغاير للاتجاه المطلوب ، ولم يكن يعلن عن غايته إلا عندما يصل لأرض المعركة ، سوى غزوة تبوك كونها بعيدة وتحتاج إلى تحضيرات فقد أفصح عنها قبل مدة ليستعد الناس لها .

لقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري أن يتعلم لغة اليهود ، كما كان يحرص على استجواب الأسرى بنفسه ، والمسلمون لا يكتفون بما

تأتيهم به العيون من معلومات ، بل لا بد من تدقيق معلومات الاستطلاع بالذات ، كما فعل عمرو بن العاص حين دخل على حصن رومي متحلاً صفة رسول قائد الجيش ، وقابل (أرطوبون) قائد الروم . كما استخدم خالد ابن الوليد رجلاً من حمص اسمه أبو جعيد كلفه الإنضمام إلى صفوف الروم ، وإشاعة الفوضى في صفوفهم وإشاعة الأراجيف (الطابور الخامس) ، كذلك دخل ضرار بن الأزور إلى معسكر الروم ، عاري الصدر يستطلع جيش الروم ، ويُغري مفرزة من الروم بمطاردته حتى انقض عليها بمناورة سريعة^(١) .

(وفي الوقت الحاضر يتم إرسال دورية استطلاع أو خطف أسير لهذه المهمة ..) كما استخدم القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي الكشافة لاستطلاع سُور مدينة بيت المقدس لمعرفة النقاط الضعيفة فيه .

إن وسائل الكشف المبكر ، وأجهزة الاستطلاع والأقمار- بكل أشكالها- لم تستطع أن تؤمّن لليهود في حرب رمضان الحماية من مفاجأة القوات المهاجمة : (المصرية- السورية) ولو أن تدابير هذه القوات لم تكن إسلامية وكان الإسلام فيها على مستوى قسم من الأفراد ، فكيف لو كان الهجوم إسلامياً ليس إلا ؟!

إن ما يكتبه الغرب واليهود عن استخباراتهما وعن تهويل شأنهما في قلوب أمتنا ، ليس إلا لإضعاف روح القتال عند المسلمين ، وإدخال اليأس إلى قلوبهم وإيصالهم إلى مرحلة الإحباط ، علماً بأن كل استخبارات حلف الأطلسي لم تستطع أن تُثني عزيمة المجاهدين في البوسنة والهرسك عن التحرك ومواجهة قوى البغي ، كذلك الأمر في استخبارات حلف وارسو (سابقاً) -الكمونويلث الروسي- لم تمنع المجاهدين في الشيشان من التحرك والتصدي للقوات الروسية ، وتمريغ سُمعتها بالوحد ، دون أن

(١) سيف الله ٣٦٨ ، الجنرال آ. أكرم ..

ينفعها تمويه تحرك وسريّة وكتمان عمليات ، بل إن استطلاع الشيشان كان بدرجة فعالية عالية حتى صار العدو يحسب لها ألف حساب .

سادساً - استخدام المناورة (الكرّ والفرّ) :

تعريف : يقال كرّ الفارس إذا فرّ للجولان ثم عاد إلى القتال .

يقال فرّ الفارس إذا أوسع الجولان بالانعطاف .

لذا فنظام الكر والفر معناه أن يحمل المقاتلون على العدو بكل قوتهم فإذا انهزم أمامهم طاردوه وانتهت المعركة ، أما إذا صمد ، وأحسوا هم بالضعف فإنهم ينسحبون إلى الخلف لينظموا صفوفهم ، ثم يُعيدوا هجومهم ثانية^(١) .

قال رسول الله ﷺ لجيش مؤتة بعد عودته « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله »^(٢) .

أما المناورة فهي تعني تنفيذ ضربة بقوة ، في زمان ومكان غير متوقع ، أو نقطة أسقطها العدو من حسابه ، أو عدّها مستحيلة ، إن هذه المناورة التي تحقّق المفاجأة بالزمان أو بالمكان لا تتم إلا من مقاتل لا يصنع المصادفة ، ولكنه يستخدمها (يُعدّها أو يجذبها) ويتقن استخدام الحذر والتدابير للاستفادة منها إن كانت مصادفة واحدة أو عدة مصادفات ، حيث يقف (الخيال) في الصف الأول من الصفات التي تجعل المُقاتل قادراً على أن يعطي للمصادفة معناها ، ويحدد مكانها ويكون هو الموجّه للحركة في مجال المفاجأة . لقد استخدم خالد بن الوليد المفاجأة عندما ناور ضد المسلمين في معركة أُحد حينما استفاد من ترك المسلمين مواقعهم . لقد اعتمد القائد المسلم خالد بن الوليد في تحقيق مناوراته وتحركاته الناجحة على عاملين :

(١) الجندية في الدولة العباسية ، نعمان ثابت ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٣٨٢ .

١- النوعية القتالية للمسلمين .

٢- خفة حركة القوات .

وتكون المناورة بالزمان ، كالهجوم في وقت غير متوقع ليلاً ، أو خلال مفاوضات يُستخدم فيها التسوية (كما حصل في حرب رمضان عام ١٩٧٣ م) .
وتكون المناورة بالمكان ، كالهجوم من منطقة غير متوقعة (كما فاجأ المشركون المسلمين في غزوة حُنين) . إذ ظهروا عليهم من خلف التلال والشمس في أعين المسلمين يضربونهم بالنبال . وكذا في حروب الردة (معركة حديقة الموت) حيث تسلق أحد الصحابة الجدار وقفز إلى الحديقة وفاجأ جيش المرتدين ، وبقي يقاتل حتى استطاع الوصول إلى الباب وفتحه ودخل الجيش قضى على الفتنة ^(١) .

كما فاجأ خالد بن الوليد الروم بمعركة اليرموك بترتيب قتال (الكراديس) الذي يعرفه الروم ولم يتوقعوا أن يستخدمه المسلمون .

- إن المفاجأة باستخدام سلاح حديث في المعركة أمر غير متوقع :
كاستخدام المسلمين النار اليونانية في معركة المنصورة ضد الصليبيين ، جاء في كتاب « ذكريات الحروب الصليبية » للفارس الفرنسي دي جوانفيل يصف ما حدث بقوله : ذات ليلة ، بينما كنا نحرس الأبراج ، حدث أن المسلمين أحضروا آلة لم تستعمل سابقاً ، ثم قذفوا منها بشيء ملاً قلوبنا بالدهشة والرعب ، نار مستقيمة كأنها اسطوانة كبيرة ولها ذبول من خلفها مثل الحراب الطويلة ، ودويها يشبه الرعد ، كأنها جارح يشق الهواء ، ولها نور ساطع جداً من جراء عظيم انتشار اللهب الذي يُحدث الضوء ، حتى أنك ترى كل ما في المعسكر كما لو كان في وضح النهار ، وقد رمى

(١) حمل المسلمون البراء بن مالك ووضعوه على حائط حديقة مسيلمة ، وقفز إلى داخل الحديقة ، وتمكن من قتل ٢-٣ من المشركين الذين منعه من الوصول إلى البوابة ، ثم فتح الباب سيف الله خالد بن الوليد ٢١٥ .

المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات ، وكان ملكنا القديس [لويس التاسع] ، كلما سمعهم يقذفون بالنار اليونانية ينهض من فراشه ، ويسط يده إلى منقذنا (الله) ويقول باكياً: أيها السيد الإله العظيم احفظ رجالي^(١) .

كذلك فاجأ المصريون اليهود عام ١٩٧٣ والعالم كافة ، بسلاح (مضخات المياه) ، حيث انهارت لها تحصينات العدو على ضفة القناة ، والتي خُطط لها أن لا تنهار ، وسقط ما يسمى (خط بارليف) كما تسقط أوراق الشجر ، هذه المناورة التي استخدموا لها سلاحاً أعدوه هم .

* * *

(١) كتاب معركة المنصورة ص ٧٤ .

الفصل الخامس

المعركة الإسلامية

ويبحث في :

- ١- شريعة الحرب (عقيدة المعركة) .
- ٢- تحضيرات القتال .
- ٣- المعركة الهجومية .
- ٤- انتهاء القتال .
- ٥- القائد وسماته .

أولاً - شريعة الحرب : عقيدة القتال عند المسلمين :

إن عقيدة المسلمين في القتال أساسها أن العدو - مهما بلغت قوته - لا يؤبه له ، وإنما هو من تخويف الشيطان لأوليائه ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِيَّانَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ولكن القوة الحقيقية هي لله ، يؤيد بها عباده المؤمنين ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٨٧] .

فمن التزم بشرع الله ، وصحت عقيدته بالله فله النصر ﴿ قَالَ الَّذِينَ

يَطُنُونَ أَنَّهُمْ مُلِقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَا ذِئْبِ اللَّهِ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿ [البقرة : ٢٤٩] ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
فَرَادَهُمْ يُمَكِّنَا ﴿ [آل عمران : ١٧٣] .

فالمسلم عليه الإعداد واتخاذ الأسباب كاملة ، وعليه أن يخاف إذا قَصَّرَ
بها ، وبعد ذلك يبدأ عمله واثقاً بالنصر ثقته بالله الذي وعده ، لأن الله
سيدير المعركة ، ويلهم القائد والجند العمل الصحيح ، ويدعم المسلمين
بالملائكة ، ويرعب الكفرة ، ويضل أعمالهم ، ويحرك الأمور - وأمر
الكون كلها بيده - لصالح النصر : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوِّجِ الَّذِينَ وَهُمْ بِالْمُدَوِّجِ الْقَصَوِيِّ
وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ [الأنفال : ٤٢] ، ﴿ إِذْ
يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰ رَبَّكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنْزَعَنَّ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الضُّمُورِ ﴿١٢﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمَيُّمِ فِي آعْيُنِكُمْ
قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٣-٤٤] ،
﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّاسًا يَعْمُرُونَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، ﴿ إِذْ
يُعْشِيكُمُ النَّاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْرَجَ
الشَّيْطَانِ وَيَلْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ
فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَائِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا قُوقَ الْأَعْنَاقِ
وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١١-١٢] ، لقد قام رسول الله ﷺ باتخاذ
جميع الأسباب واستشار أصحابه - ومن اتخاذ الأسباب سؤال أهل العلم
والخبرة - ﴿ فَشَتَّلَ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، واتخذ ترتيب القتال الملائم ،
وقام بجولة تفتيحية على الوحدات ، ووعد الشهداء بالجنة ثم وقف بالعريش
يدعو الله : « يا رب ! إلا تنصُرْ هذه العصابة ، فلن تُعبد في الأرض . . يا رب
نصرك الذي وعدت » ، وكان الصديق رضي الله عنه يرفع رداءه الذي سقط عنه
ويقول : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك ، إن الله لا يخذلك ^(١) . لقد

(١) صحيح مسلم ١١٥٠٨ ص ٣١٠ باب الإمداد بالملائكة .

كان الرسول الكريم ﷺ يخاف أن يكون قد قَصَّرَ في اتخاذ الأسباب ، وليس قلة ثقة بالله .

في معركة اليرموك وبينما كان خالد يرتب الجند ويفتش بينهم ، قال له رجل : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين؟ » ، فقال خالد : بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه^(١) وأنهم أضعفوا العدد ، بهذه الكلمات بيّن قائد المسلمين دوره في المعركة ، إن عليه أن يقوم بما هو مطلوب منه ، وهو إصلاح نعل حافر الحصان ، وهذه أدق الأشياء التي يجب الإهتمام بها ، ولكن العدو متروك أمر هزيمته لرب العالمين !

والمسلم يعلم أن أجله محتوم ، فلا يخاف من الموت سواء أكان في المعركة أو خارجها ، ولكنه يتفد بثقة ما هو مطلوب منه ، وموازين القوى بيد ربنا ، إذا وضع قوته في أحد الكفتين ، طاشت الأخرى .

والمسلم يعلم أن الجهاد عبادة من أفضل العبادات ، ولذا ففي تصرفاته كلها هو بين يدي الخالق ، ينفذ تعليمات الأمر ، ويعلم أن التزامه بالأوامر وتعاونه مع أقرانه مما يرضي الله . . وهكذا .

ثانياً - تحضيرات المعركة :

الدعوة إلى الجهاد تبدأ بغرس راية الحرب عند المسجد ، ويدعو داعي الجهاد ، فيتدفق المنتطوعون ، حيث لا يتخلف إلا معذور أو منافق ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة : ٢٤٨] ثم تُشرح

(١) فرسه مصاب (بالوجا) أي يشتكي حافره .

سيوف أمية في الحرب والإدارة ص ٥٦-٥٧ .

على المنابر الظروف العامة وحاجة الأمة التي تستلزم الجهاد . ثم يقوم قادة الجيش بتجميع وتدريب وتعبئة المتطوعين ، ومن ثمّ الازدلاف لأماكن التحشد ، ويقوم الحاكم بوداعهم إلى خارج المدينة « إن الأقدام التي تُعْفَر بالتراب في سبيل الله لن تصيبها نار جهنم »^(١) .

ثم يُوصى الجيش وأميره من قبل الحاكم . لقد وصّى رسول الله ﷺ الأمير بقوله : « قاتل باسم الله ولا تتعدى الحدود ، ولا تكن غادراً ولا تمثل بالقتلى ولا تقتل النساء والأطفال ، ولا تقتل أهل الأديرة »^(٢) .

ثم يشق الجيش طريقه الخيالة في المقدمة ، وعلى الجناحين النبالة ، ثم الرجالة بالخلف في صفوف كثيفة بنظام ، وأخيراً الجمالة محملة بالعدد والخيام والعنّاد ، ثم المستوصفات ، ثم المنجنقات والعرادات ، في المؤخرة على الجمال والبغال ، وإذا أقاموا في معسكر حفروا الخنادق ، ونصبوا الخيام ، وأقاموا الأسواق ، ويقوم أمير الجند يؤم الجميع في الصلاة ، مع أخذ الحيطة والحذر (صلاة الخوف) .

وتبنت مفارز للرصد والحراسة ، وغيرها لمنع مباغطة العدو ، وتوضع الخطط لملاقاة العدو استناداً إلى دراسة الأرض والعدو .

يُرْسَل الكشافة لاستطلاع معسكر الأعداء ، وتحديد قوامه وتسليحه ، ومعنوياته وتدريبه دون أن يتم أي اشتباك معه . وقبل المعركة يقوم القائد بجولة تفقدية على الوحدات ويتكلم مع قادة الوحدات الصغيرة والجنود يقول فيها : «أيها المسلمون إن أعداء الله أمامكم قد استعدوا ودفَعوا بكل قوتهم ، فإذا هزمهم الله على أيديكم ، فلن تقم لهم قائمة ، فاثبتوا في المعركة ودافعوا عن دينكم ، وإياكم أن تولوا الأدبار ، لأن من يولي الأدبار فجزاؤه

(١) كتاب الخراج أبو يوسف ١٩ .

(٢) فتوح الشام للواقدي ج / ٤ .

جهنم ، كونوا يقظين وصامدين في صفوفكم ولا تهاجموا إلا بأمرى (١) .
في فتح دمشق نظّم خالد بن الوليد هيئةً عسكرية هي بداية ما يسمّى بـ
(هيئة أركان) حيث جمع من الرجال ، الأذكىاء واللامعين ، في المناطق
التي حارب فيها ، وجعلهم كهيةً استشارية فيما يتعلق بالاستخبارات ،
فكانت تُجمّع المعلومات ، وتنظّم ارسال واستجواب العملاء ، وتجعل
القائد على علم دائم بآخر تطوّرات الموقف العسكري ، وهكذا : القائد لا
ينام ولا يُتيم ، ولا يخفى عليه شيء .

- توزّع الواجبات أو المهام على القادة ، وهذه قابلة للتعديل والتبديل
في كل لحظة ، ثم يقوم القائد بإعطاء الأمر إلى قواته بالهجوم وخوض
المعركة حسب الخطة .

وعاملُ المباغته له دور كبير ، حيث يُقسّم الجيش إلى أقسام ، أحدُ
الأقسام يقاتل والآخر يختبئ ، حتى إذا شعر المقاتلون بالتعب ، ينزل
القسم المختبئ إلى المعركة .

والقائد له السيطرة في كل لحظة عن طريق الصوت والراية : (هزّ
الراية) . كما أن (الخدعة) أساس للوصول إلى النصر بأقل خسارة ووضع
العدو في حالة الإحباط فيستسلم ويحقن دمه و«الحرب خدعة» (٢) و«رب
حيلة أنفع من قبيلة» كاصطناع الهزيمة ، أو الفرار أو الهجوم الليلي ، وغير
ذلك من خُدع الحرب .

- كما أن اتخاذ الحذر أساسي فالمؤمن ، «كَيْسٌ فَطْنٌ حَذِرٌ» (٣) حيث
تُجعل الصحراء خلف القوات كملجأ عند اللزوم ، أو كإحراق السفن لمنع
التفكير بالهرب .

(١) المغازي، الواقدي ٣٥ .

(٢) صحيح مسلم رقم ١٧٤ ج ٣/١٣٦٢ .

(٣) الجامع الصغير ٩١٥٨ .

أمر يجب مراعاتها قبل الحرب وأثناءها .

- يجب العناية بأمراء الجيش الإسلامي وقيادته الدينية والثقافية والعسكرية وتوفير حقوقهم المادية وتطهير الجيش من الفساد كلما ظهر ذلك .

- الفرار من الزحف من الكبائر وكذلك التعامل مع العدو والخيانة وعقوبتهما يحددهما القائد أو أمير الجيش؟ .

- عدم قتال غير المقاتلين .

- عدم قتل النساء والأطفال والرهبان والزَّمنَى^(١) والشيوخ والأجراء وأهل الذمة .

- يمكن استخدام الخدعة والتضليل بالحرب ولكن بدون غدر أو نقض للعهد .

- الحذر من جواسيس العدو .

- العناية بمرضى وجرحى المسلمين وموتاهم ، أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان : « ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه . . »^(٢) .

- عدم خروج المرأة الشابة للقتال .

- منع الإرجاف والتخذيل .

- عدم الخروج من معسكر المجاهدين بدون إذن الأمير .

- الكف عن قتال مَنْ أظهر الإسلام .

- عدم إفساد الأموال الخاصة .

- عدم قتل الأعداء بالنار ، أو التمثيل بهم سوى القصاص .

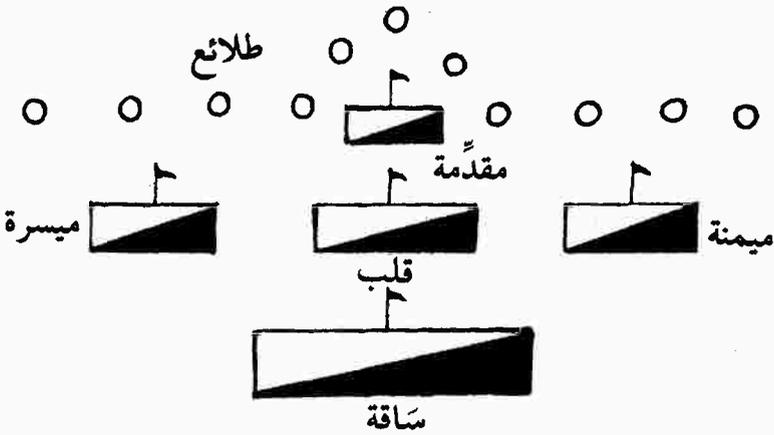
(١) الزمانة: العاهة ، البليّة .

(٢) كتاب عيون الأخبار: ١٠٨/١ .

ثالثاً - المعركة الهجومية :

هناك شجاعة أصعب من غيرها ، هي في اتخاذ القرار بالهجوم ، وتنكّب المسؤوليات ، لقد كان الصديق - الخليفة الأول - في قمة شجاعته يوم اتخذ القرار ببعث جيش أسامة ، وكذلك يوم اتخذ القرار بحرب المرتدين ، حيث غير مجرى التاريخ ، وثبتت دعائم الدولة الإسلامية التي صار أمرها إلى زوال لولا هذا القرار ، ولا بد لأي حرب من أن يكون قبلها دعوة وإعلام ، وهكذا فإذا ظهر العدو أمر القائد بقرع الطبول ، لأخذ الحذر ، وبثّ الحماس ، وإعلاء صوت (الله أكبر) ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْضُوعِينَ ﴾ [الصف : ٤] والهجوم يكون بالمواجهة على نسق صف أو صفين أو ثلاثة كصفوف الصلاة . . حاملوا النبال أولاً ثم الرماح ثم السيوف وعلى الميمنة والميسرة الفرسان ، وتزحف الصفوف ، ثم تطوّر الصف إلى (كراديس) ليتم السيطرة على العدد الكبير ، وفي الجيش المسلم يرتبط الجندي بالقائد الأعلى عن طريق تسلسل القيادة ، ثم نظام (الانفتاحات) بأشكال مختلفة .

- صورة لإحدى تراتيب القتال للقوات الإسلامية المهاجمة
هجوم الطليعة



- ففي جيش (القادسية) كان في الصف الأول الفرسانُ ، وفي الثاني الرِّجَالُ أصحاب السيوف والرماح ، وفي الثالث الرماةُ ^(١) .

أما في معركة اليرموك فكان الخيالة على المجنبات .

وتستخدم الخيالة : للإستطلاع والريادة ومهاجمة خيالة العدو ومنعها من تطويق الصديق - ومهاجمة صفوف العدو مع المشاة - تطويق القوات المعادية - مطاردة فلول العدو المنسحبة .

أما المشاة إذا توقعوا هجوم العدو جثوا على الركب على شكل مربعات شاهري الرماح واضعين الدرع على الأرض :

إن لكل معركة خصائصها وتكتيكها ولكن القيادة الناجحة لها في كل معركة أسلوبها وخططها ، إن استعراض العضلات والخيلاء والفخر والازدراء بالعدو مطلوب في هذا المقام « تلك مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن » ^(٢) .

يبدأ القتال بمبارزة بين بعض من أبطال المسلمين مع بعض من قادة العدو ، حيث يحرز المسلمون التفوق ، ويتم قتل أكبر عدد من قادته ، وبهذا تقل فعالية الجيش المعادي ، بينما المبارزات مستمرة وينقضي النهار بأمر القائد بشن هجوم عام ، وتتحرك صفوف المسلمين إلى الأمام وتنقض على جيش العدو ، وتدور المعارك بالسيوف (السلاح الأبيض) ، وتجري المناورة والالتفاف على مجنبات الجيش المعادي ، أو يستمر القتال بين

(١) تاريخ العرب والتمدن الإسلامي - سيد أمير علي .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قال إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة . فقال : وما حقه يا رسول الله؟ قال أن تضرب به حتى ينكسر ، فأخذه أبو دجانة ووضع عصا به على رأسه ، وأخذ يقول شعراً ويتبختر فقال عليه السلام : تلك مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن » ...

الجانبين على مسافة قريبة بشكل عنيف ، وصوت (الله أكبر) يزمجر عالياً وما هي إلا ساعات حتى يلوذ العدو بالفرار تاركاً أشلاءً متناثرة ، (إن الحرب الخاطفة هي من شيمة الجيش المسلم ، لأنها تحقق الهدف بأقل خسارة) .

ثم يمكث في أرض المعركة بعد اندحار العدو .

رابعاً - انتهاء الحرب (المعركة) :

كما أنه لا يجوز لأمير الجيش المسلم أن يهاجم أعداءه قبل إعدارهم ، كذلك فإن الحرب تنتهي إذا انتهى العدو عن القتال ﴿ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] كذلك يمكن قبول الصلح إذا أبدى العدو رغبته بذلك ، حتى ولو كان يقصد منه الكيد والخديعة ، لأن الله هو الكفيل برّد كيده في نحره ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [النمل : ٦١-٦٢] على أن الفقهاء أجازوا قتال الكفار مُقبِلين أو مُدْبِرِينَ ، على اعتبار أن انسحاب العدو يُعدُّ مرحلة من مراحل القتال ، وليس تسليمًا أو مطلبًا للصلح .

وقف القتال وإقرار السلام :

ويتم هذا بزوال أسبابه وهي :

١- دخول أعداء الله (المحاربين) بالإسلام ﴿ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ ﴾ [الفتح : ١٦] ، حيث يصيروا من جملة المسلمين بالحقوق والواجبات فيعصموا دمائهم وأموالهم . ولا يجوز محاسبتهم عما مضى (لأن الإسلام يجب ما قبله) .

٢- قبول دفع الجزية ودخول أعداء الله في ذمة المسلمين وخضوعهم للحكم الإسلامي (الحصول على جنسية الدولة المسلمة) حيث يوقف القتال

ضدهم ويحرم الانتقام منهم أو مطالبتهم بالتعويض عن أضرار الحرب ومفهوم الذمة هو أنهم أمانة في بلاد الإسلام عليهم حمايتهم العامة والخاصة، يقول عليه الصلاة والسلام: «من قتل معاهداً لم يُرح رائحة الجنة»^(١). والحزبية تعقد لجميع الكفار إلا العرب الذين لا يدينون باليهودية أو النصرانية أو المجوسية) لقول الرسول الكريم ﷺ: «لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف»^(٢)

٣- عند المعاهدات: الهدنة - أو الصلح أو المواذعة: وهي تعني ترك القتال مدة معينة (يجوز تمديدتها حسب المصلحة) بعوض أو غيره والميزان في ذلك ﴿فَلَا تَهْتَفُوا وَادْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ويحرم الغدر بالعدو ما دام عقد الأمان أو المعاهدة ساري المفعول كما يجوز عقد الأمان للأفراد من أهل الحرب «فدمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

معاملة العدو المهزوم: لا يجوز التفاخر بالنصر بل يجب التمسك بمفاهيم العدالة كسباً للقلوب ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] لأن النصر من الله، وليس الإنسان صانعاً له، لذا فلا يحق له التبجح به ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- ويعطى الأمان لغير المقاتلين أما بالنسبة إلى الأسرى فيحسب الموقف: - إما القتل - إذا كان المسلمون في موقف ضعف ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُوتٌ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]. وخاصة لمن ارتكب جرائم حرب.

(١) مشكاة المصابيح ٢٤٥٢.

(٢) فتح القدير لابن الهمام ٤٩/٦.

(٣) صحيح البخاري ١٨٧٠.

- وإما المن والفداء في حالة القوة والتمكين في هذه الحالة : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] فالمنُّ إطلاق سراح الأسير من دون شيء ، والفداء إطلاق سراحه بمقابل أو بمبادلة .

- أو إجراء الرِّق عليهم ، وفي هذه الحالة : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] أو ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَكُمْ فِي الَّذِينَ ﴾ [التوبة : ١١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام في معاملتهم : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ، وإن كلفتموهم فأعينوهم »^(١) . والرِّق والأسر له أحكام خاصة في الفقه ، كما يمكن عدُّ فداء الأسرى تعليمُ المسلمين أو أبنائهم العلوم العامَّة والعصرية . وقد حرم الإسلام القتل بُغية الحصول على الغنائم فقط . أما إذا حصلت الغنائم بسبب الجهاد في سبيل الله فلا بأس .

- وما يكسبه المسلمون بالحرب :

أ - الفياء : وهو ما يكسبه المسلمون من دون قتال ، فيدخل بيت مال المسلمين . . ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الحشر : ٧] .

ب - الغنائم : أموال منقولة (تؤخذ بعد انتصار الحرب) توزع على المجاهدين بنسبة ٥/٤ ، وليت مال المسلمين ٥/١ ، وأموال غير منقولة كالأراضي ، وهذه تترك لعمالها ، ويوضع عليها الخراج ، لتكون في أعطيات المسلمين . وتضرب الجزية على أهل البلاد المفتوحة ، كل ذلك حسب قوانين العدالة الإلهية ، وذلك مما يسمح بإيجاد مجتمع التعاون والمحبة والخير .

(١) مشكاة المصابيح ٣٣٤٥ ص ١٠٠٠ باب النفقات وحق المملوك متفق عليه .

- وإذا أعطى المسلمون عهداً ، فهُم عند عهدهم ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْؤُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] جاء في كتاب الصلح الذي وقعه خالد بن الوليد لأهل عانات (صالحهم على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وعلى أن يضربوا بنواقيسهم في أية ساعة شاؤوا من ليل أو نهار ، إلا في أوقات صلاة المسلمين ، وعلى أن يُخرجوا الصُّلبان في أعيادهم) (١) . وقد أجازت امرأة رجلاً مهدور الدم في فتح مكة فقال عليه السلام : « أجزنا من أجزت يا أم هانئ » (٢) . وهذا يعني أن المرأة المسلمة تجير كما يجير الرجل سواء بسواء .

- ويتقيد المسلمون في حربهم المقدسة التي تدخل في صنف العيادات بأمور :

أ - قَصُر الحرب على الرجال المحاربين فقط ، وتأمين من طلب الأمان من المحاربين لسماع كلام الله .

ب - منع النهب (إن النهب ليس أحل من الميتة) .

ج - تحريم التمثيل بالقتلى « لا أمثلُ بهم فأخاف أن يُمثَّل بي - ولو كنت نبياً - » (٣) .

د - عدم إنزال المحاربين على ذمة الله ورسوله ، ولكن على حكم الله ورسوله ، لأن ذمة الله ورسوله صعبة الإدراك ولكن حكم الله ورسوله يمكن إدراكه .

هـ - تحريم إتلاف الأموال وتجويع الأعداء ، ودعوة مَنْ أسلم من المحاربين للهجرة إلى بلاد الإسلام .

و - الرفق بالأسير ، والمنُّ عليه إن رأى الإمام ذلك .

(١) فتوح البلدان - البلاذري ص ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ٣٥٧ وصحيح مسلم ٣٣٦ ج ٤٤٨ .

(٣) أعلام الموقعين ٣٩٧٧ .

ز - لا بد من إظهار التجلد للعدو ولو أحرز انتصاراً ﴿وَلَا تَهْتَوْا وَلَا تَهْزَبُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران : 139] .

ح - الإقامة بأرض المعركة بعد النصر لإشعار العدو بالهزيمة .

ط - دفن شهداء المسلمين في مصارعهم ، ودفن الأعداء ، وعدم التمثيل بهم .

ي - التبشير بالنصر أو الفتح وإرسال البشير بالنصر والفتح إلى عاصمة الخلافة الإسلامية .

ك - تشكيل مجلس إداري لإدارة البلاد المفتوحة ، بما يُظهر أخلاق المسلمين ، وجلبُ الغنائم وتوزيعها بين المجاهدين وبيت مال المسلمين ، وتأمين أهل البلاد المفتوحة على أموالهم وأعراضهم وإقامة شعائرهم ، والحكم بينهم بشرع الله وبما يوافق العمل ، وإشعار أهل البلاد المفتوحة بالتكريم ، تأليفاً لقلوبهم .

ل - استقبال المجاهدين من قِبَل أهلهم وأقوامهم والأمراء ، والترحيب بهم .

خامساً - الجيش الإسلامي وسماته :

كان رسول الله ﷺ يقود جنده بنفسه في كل غزواته ، وكانت مهمته في تربية أصحابه وقيادتهم في المعركة من أركان الإسلام ، وجاء الخلفاء الراشدون من بعده ، فقاد الخليفة الأول أول معركة لطرد المرتدين خارج المدينة ، وعيّن بعدها القائد العام لها ، وكذلك فعل باقي الخلفاء ، حيث كانوا يتركون للقائد تعيين المساعدين له ، ويبقى الخليفة هو القائد الأعلى ، وطاعته والولاء له من قائد الجيش وأفراد الجيش هي من طاعة أولي الأمر التي نص عليها القرآن ، والجميع ملتزمون بالولاء لقائد الأمة من خلال طاعة أمير الجيش ، وأما الولاء لأمير الجيش فهو ولاء لمرحلة

المعركة ، لأن لكل معركة قائدها ، وهذا القائد يتبدل فيخرج من الصفوف أو يعود بعد المعركة إلى صفوف الجند ، والقيادة ليست حكراً على أحد ولكن الولاء الدائم لأمير المؤمنين ، ولذا فإن نفوس الجند لا تميل للرياء والنفاق مع القائد ، ولكنها مع الحق ، ومتى تخلى القائد عن القيادة ، لم يعد لأحد أن يواليه ولكن أخ في الله ، والأخوة الإسلامية في جيش المسلمين أساس ، لأنها تجمع المسلمين في دين الله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] « والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه »^(١) - والمثل الأعلى تجسّد في الأخوة بين المهاجرين والأنصار ، حيث قاسم الأخ أخيه ماله ومتاعه وتخلّى له عن إحدى أزواجه يطلقها له ليتزوجها إن أراد وقبل .

ومن سمات الجيش المسلم التواصي بالحق وبالصبر ، إن المجاهدين في جيش الإسلام متواصين بالحق أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومتواصين بالصبر ، لأن الإيمان نصفه صبر على متاعب الدنيا ، ونصفه شكر ، والصبر في المعارك على الجوع والعطش والجروح وغيرها يحتاج إلى مصابرة من الإخوة ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

وجيش المسلمين أفرادهم متعاونون متكاتفون ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّيرِ وَالتَّمَدُّونَ ﴾ [المائدة : ٢] « لا تبغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً »^(٢) فلا حقد ولا حسد ، ولكن محبة وتعاون ، وإذا حصل شيء من قبيل اختلاف وجهات النظر ، فإصلاح ذات البين أمر هام وضروري ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١]

(١) مختصر صحيح البخاري ص ٣٣٩ رقم ١٠٥٩ - كتاب المظالم .

(٢) متفق عليه في رياض الصالحين رقم ١٥٦٧ ص ٤٥٦ باب النهي عن التبغض والتقاطع والتدابير .

وقد يحتاج الإصلاح إلى بعض التقول حيث يقول عليه السلام « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً »^(١) . والإصلاح أفضل العبادات ، وفساد ذات البين هو الحالقة « لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين »^(٢) .

- والجيش الإسلامي أفراده ثابتين على الحق فالحق اسم من أسماء الله والإسلام والإيمان والدين حق ، ويعني ذلك التفقه بالدين لمعرفة الحق ، ثم الثبات عليه « اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على دينك »^(٣) ، هذا من دعاء النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

« ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة »^(٤) .

- تداخل الطاعة والولاء بين الأفراد وقائدهم « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عندكم »^(٥) فطاعة أمير الجيش من طاعة رسول الله ولكن « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » :

* * *

(١) البخاري ٢٦٩٢ .

(٢) الترمذي ٦٦٣/٤ .

(٣) مختصر صحيح مسلم ١٨٥١ باب تصريف الله القلوب .

(٤) البخاري ٣٦٤١ وروايته في مختصر صحيح مسلم ص ٢٩٠ رقم ١٠٩٦ . . يقاتلون

على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك . .

(٥) البداية والنهاية ج ٦ / ٣٠١ خطبة الخليفة أبي بكر يوم تولي الخلافة .

أعلام قادة جيوش المسلمين

- ١- رسول الله ﷺ في غزواته بدر ، وأحد ، الخندق «الأحزاب» ، صلح الحديبية ، خيبر ، فتح مكة ، حنين ، تبوك .
- ٢- الخليفة الراشد أبو بكر الصديق قائد أول معركة إسلامية في الهجوم الليلي ، حين طرد المرتدين خارج المدينة إلى ذي القصة ، ثم إلى الأبرق .
- ٣- الخليفة الراشد ، أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب - له مواقف في الخندق وخيبر مشهورة زمن رسول الله ﷺ ، ومعارك مختلفة لتثبيت دعائم الخلافة .
- ٤- الزبير بن العوام قريب رسول الله وصاحبه قائد نجدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص .
- ٥- خالد بن الوليد سيف الله في معركة مؤتة ، وفي مقاتلة المرتدين وفي فتح الحيرة والعراق ودمشق بعد اليرموك .
- ٦- عمرو بن العاص قاد معركة ذات السلاسل في عهد رسول الله ﷺ وخاض أجنادين وفتح مصر .
- ٧- سعد بن أبي وقاص قائد معركة القادسية منبطحاً على صدره بسبب مرضه ، وقضى على «رُسْتَم» الفارسي .
- ٨- أبو عبيدة عامر بن الجراح ، أمين هذه الأمة ، فتح بيسان وطبريا وبعْلَبَكْ وحمص وحماة وأنطاكية .

٩- النعمان بن مقرن بن عائد المزني فاتح نهوند حيث خسر الفرس فيها
٢٠ ألف قتيل واستشهد هو بها .

١٠- عقبة بن نافع ، فاتح المغرب حتى بحر الظلمات ، « والله يا رب
لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك » .

١١- موسى بن نصير فتح بلاد الشمال الإفريقي وجزيرة صقلية وسردينيا
وفتح الأندلس . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي
قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا . ﴾ [الحشر ١٠] .

* * *

الخاتمة

إن الشخصية العسكرية الإسلامية ليست غائبة عن المسلم ، بل هي ملتصقة بالشرع الحنيف ، بدءاً من رسول الله ﷺ المثل الأعلى ومن بعده الصديق والفاروق اللذين قادا جيوش المسلمين لنشر الدين الحنيف وفتح البلاد وإلى عثمان ذي النورين الذي في عهده قاد عبد الله بن سعد بن أبي سرح أعظم معارك البحر وأولها في الإسلام (ذات الصواري)^(١) والتي حولت البحر المتوسط من بحر الرُّوم إلى بحر العَرَب (المسلمين) . وإلى الإمام علي بن أبي طالب صاحب المعارك الأعلام ، ومن سار على نهجهم والتزم به ، إن الشرع الحنيف وشخصية الرسول الكريم ﷺ هما اللباس الذي تتزين بهما الشخصية العسكرية الإسلامية .

ولربط حاضر الأمة بماضيها نقدم هذه الدراسات وأمثالها لقول الرسول الكريم ﷺ « إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله » وصدق رسول الله ﷺ .

* * *

(١) سميت بذات الصواري لكثرة الصواري التي أشتركت بها حيث كان عدد مراكب المسلمين ٢٠٠ ومراكب الروم ٥٠٠ وقاد المعركة عبد الله بن سعد بن أبي سرح حيث ربط السفن مع بعضها ، وتم النَّصر للمسلمين بعد أن قتل فيها خلق كثير منهم .

فهرست المصادر

- القرآن الكريم .
- مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- مشكاة المصابيح - الخطيب التبريزي تحقيق الألباني .
- مختارات الأحاديث النبوية - أحمد الهاشمي دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها تحقيق الألباني المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الأحاديث الأربعين في فضل الجهاد والمجاهدين - إسماعيل النبهاني البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- الإمام البخاري وصحيحه - د . عبد الغني عبد الخالق دار المنار للنشر جدة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- السيرة الحلبية المسماة بإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون - بدر الدين الحلبي مطبعة البابلي مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- الجهاد والفدائية في الإسلام حسن أيوب دار الندوة الجديد بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية - رسالة دكتوراه محمد خير هيكل دار البيارق بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ .

- التاريخ الأندلسي - د. عبد الرحمن علي الحجي - دار القلم - بيروت ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب - المقري - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- المغازي - الواقدي - القاهرة ١٩٤٨ م .
- الجيش العربي في عصر الفتوحات إحسان هندي إدارة التوجيه المعنوي في الجيش السوري ١٩٧١ م .
- حلية الفرسان وشعار الشجعان محمد بن عبد الرحمن الهزيل الأندلسي دار الطباعة والنشر ١٩٥١ م .
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام أبو الحسن الندوي دار القلم والتوزيع الكويت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- السلام والحرب في الإسلام محمد فروج دار الفكر العربي ١٩٦٠ م .
- العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين المعروف بابن عبد ربه الأندلسي طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .
- قصة الكفاح بين العرب والاستعمار محمد سعيد العريان وجمال الشيال دار المعارف ١٩٦٠ م .
- الجهاد في الإسلام د. محمد القادري دار المنار جدة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- سيف الله خالد بن الوليد الجنرال آ. أكرم ترجمة صبحي الجابي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- معركة المنصورة وآثارها في الحروب الصليبية عبد الرحمن زكي - إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لوزارة الحربية المصرية القاهرة ١٩٥١ م .
- فتوح الشام - الواقدي - القاهرة ١٩٥٤ م .
- الذكاء والقيم المعنوية في الحرب جنرال جان بيريه تعريب أكرم ديري والهيشم الأيوبي دار الطليعة - بيروت ١٩٦٨ م .

- مدخل علم النفس العسكري - عبد المجيد كركوتلي - قيادة الجيش السوري هيئة التدريب قسم النشر ١٩٦٢ م .
- حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي دار المعرفة بيروت .
- تاريخ الطبري (الرسل والملوك) محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .
- فتوح البلدان - البلاذري - القاهرة ١٩٥٩ م .
- الإسلام في قفص الاتهام شوقي أبو خليل دار الفكر دمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ .
- الجيش والقتال في صدر الإسلام محمود أحمد محمد سليمان عواد مكتبة المنار الزرقاء الأردن ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

* * *

فهرست الموضوعات

٥	تمهيد
٩	الفصل الأول: الجهاد الحرابي دوافعه والباعث عليه
٩	أولاً: تعريف الجهاد وحكمه
١٠	ثانياً: العقيدة القتالية عند المسلمين
١١	ثالثاً: الباعث على الجهاد الحرابي
١٣	رابعاً: العقيدة القتالية عند أعداء الله
١٧	الفصل الثاني: العسكرية والشخصية العسكرية
١٧	أولاً: الشخصية
١٩	ثانياً: الشخصية العسكرية
٢١	الفصل الثالث: المؤهلات والتدريب
٢١	أولاً: المؤهلات الموروثة
٢٣	ثانياً: مؤهلات اجتماعية
٢٤	ثالثاً: صفات خلقية
٢٦	رابعاً: مؤهلات نفسية وفكرية
٣٠	خامساً: مؤهلات قيادية
٣٣	سادساً: مؤهلات قتالية ضمن المثل العليا
٣٩	الفصل الرابع: الإعداد القتالي
٣٩	أولاً: الإعداد القتالي البدني

٤٤	ثانياً: الإعداد للنفير (الاحتياط)
٤٦	ثالثاً: الإعداد السياسي والعقائدي
٤٩	رابعاً: استخدام الأسلحة
٥١	خامساً: استخدام الاستطلاع
٥٣	سادساً: استخدام المناورة (الكر والفر)
٥٧	الفصل الخامس: المعركة الإسلامية
٥٧	أولاً: شريعة الحرب: عقيدة القتال للمسلمين
٥٩	ثانياً: تحضيرات المعركة
٦٣	ثالثاً: المعركة الهجومية
٦٥	رابعاً: انتهاء الحرب (المعركة)
٦٩	خامساً: الجيش الإسلامي وسماته
٧٣	أعلام قادة جيوش المسلمين
٧٥	الخاتمة
٧٦	فهرس المصادر
٧٩	فهرس الموضوعات

* * *